كتاب التاج

في

أخلاق الملوك

للجاحظ

بتحقيق

الأستاذ أحمد زكي باشا

كاتب أسرار مجلس النظار

RENAISSANCE DES LETTRES ARABES

SOUS LE PATRONAGE DE

S. A. LE KHÉDIVE ABBAS II.



LE LIVRE DE LA COURONNE.

(Kitâb el Tâdj.)

كتاب التاج

في

أخلاق الملوك

للجاحظ

بتحقيق
الأستاذ أحمد زكي باشا
كاتب أسرار مجلس النظار

فذلكة المضامين

١ — فهرس التصدير

لأحمد زكى باشا محقق هذا الكتاب

(أرقام هذا الفهرس موضوعة فى أسفل الصفحات)

صفحة

فهرس التصــدير

(يليه فهرس كتاب "التاج")

٢ — فهرس كتاب "التاج"
للجاحظ

بابٌ فى المنـادمة

باب فى صفة ندماء الملك

خاتمـــــة الكتاب

(يليـه "الملحقات")

٣ ـــ ملحقات الكتاب

٤ ـــ الفهارس الأبجدية لكتاب "التاج"

٥

بســــــــــم الله الرحمن الرحيــم

تصـــــدير

لكتاب "التــاج"

بقـــلم محققه

الأستاذ أحمد زكى باشـــا

"واجبٌ علىٰ كلّ ذى مقالة أن يبتدئ بالحمد قبل استفتاحها، كما بُدئ بالنعمة قبل استحقاقها"[1] .

نظرة عامة فى الكتاب ومؤلفه.

وبعدُ، فهذا الكتاب، كتاب "التاج". وهو المشهور أيضا بكتاب "أخلاق الملوك".

هذا الكتاب : وضعه الجاحظ أيامَ كانت بَغدادُ دارَ السلام، وقبَّة الإســلام، ومركز الخلافة، وجنّة الأرض، وقطب العالَم، ومعدن الظرائف، ومنشأ أرباب الغايات؛ أيامَ كان العراق بستانا زاهرا بأنوار المعارف والمعالى، وكانت أمصارُه وقُراه مناهلَ عذبةً يزدحم عليها طُلّاب العلوم والآداب .

هذا الكتاب : قد ضمّنه الجاحظ طائفة كبيرة من نظامات الدولة العباسية علىٰ عهده، مما تقرّاه هو بنفسه أو كان متعارَفًا فى عصره. ولقد أودعه ماوصل إليه علمُه مما يندرج تحت هذا الباب من الرسوم والاصطلاحات التى كانت فاشية بين العرب أو شائعة فى صدر دولتهم، علىٰ مابلغ المؤلِّف بالسند المتصل عن الحجة الصادق والثقة الأمين.

(١) هكذا صدّر سهلُ بن هارون أحد كتبه ، وكان معاصرا للجاحظ . أُنظر "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٨٨).

هذا الكتاب : قد جعله الجاحظ مرآةً تتجلى فيها مشاهد الخلفاء والأكابر في حفلاتهم الرسمية وحشودهم العامة، إلى ما هنالك من طرائق ملوكية[1] وترتيبات سياسية اقتبس العرب بعضها من الفُرس حينما دالت الدولة إلى الإسلام، واجتمعت الكلمة في العرب الكرام : لا سيّما بعد ما سادت المسوِّدة[2] من آل عبّاس، وخفقت على رؤوسهم البنود والأعلام، وجلس على سرير الخلافة سابعهم، الميمون النقيبة، المبارك الناصية، وأعني به المأمون بن هارون . وكان ذلك بفضل أشياعه وأوليائه من أهل خُراسان وما والاها، على ما هو معلوم .

هذا الكتاب : نتعرف به مقدار التأثير الكبير الذى كان للحضارة الفارسية في الحضارة الإسلامية على عهد العباسيين، حتى لقد ينسى الجاحظ خُطّته ومنهاجه فيسُرُد بعض عاداتِ الفُرس ورسومهم القديمة، كأنها مألوفةٌ في تلك الأيام؛ وهي مما لا يمكن أن يكون تحت حكم الإسلام.[3]

(١) هذه النسبة قد استعملها كثير من فحول البلغاء . قال الجاحظ : " ولو شئنا أن نقول إن سهره بالليل ونومه بالنهار خصلة ملوكيّة، لقلنا . ولو كان خلاف ذلك ألذّ، لكانت الملوك بذلك أولى " . أُنظر كتاب الحيوان، (ج ١ ص ١٣٧) . وقال الهمْدانى في "صفة جزيرة العرب" : وبها آلة الحرير النفيسة الملوكية (ص ٢٠٢) ـــ ومعلوم أن الإمام ابن جنى ألف كتابا سماه "التصريف الملوكى" .

(٢) كان السواد شعارًا لبنى العباس، وكان أشياعهم يرتدون به . ولذلك سماهم التاريخ "المسوِّدة" [بكسر الواو المشدّدة] . أما بنو أُمية فكان شعارهم البياض، وذووهم والمتنصرون لهم يسمون "المبيِّضة" [بكسر الياء المشدّدة] . وقد اصطلح الكتّاب والمؤرّخون على أن يقولوا : "سوَّد أهل المدينة الفلانية" أو "بيَّضوا" دليلا على انضوائهم تحت لواء العباسيين أو انضمامهم إلى بنى أمية .

(٣) أُنظر حاشيتىْ (رقم ٤، ٥ من ص ١٤٦)، ثم (س ١١ من ص ١٦٠) من كتاب "التاج" . وفيه مواضع أخرى كثيرة من هذا القبيل .

هذا الكتاب : شرح لنا فيه الجاحظ أحوال أمراء المؤمنين، وسادات المسلمين فى أحويتهم[1] الخصوصية ، وفى أنديتهم العمومية، ووقفنا فيه على سَمَرهم فى سَهَرهم، وقَصْفهم فى ليالى أنسهم ، إلى ما كانوا يصنعون فى مجالى حظّهم، ومسارح لهوهم، ومراتع طَرَبهم . وناهيك بمجالسهم فى الأغانى والمنادمة ، ومجامعهم فى الملاعبة والمداعبة، ومشاهدهم فى المسايرة والمباسطة !

هذا الكتاب: فيه تبصرةٌ لنا بأساليب القوم فى اللّبس والطّيب وغير ذلك من الرسوم والآداب التى كانت معتبرةً لدى السَّراة والأماثل فى أيام العرب، وفيما بعد الإسلام .

هذا الكتاب : تدلّنا عباراته على أن الجاحظ آستخدم بعض التصانيف التى وضعها الفُرْس فى هذا المعنى[2] . بل نراه قد آنساق بعامل الآستمرار فى النقل عنها إلى إيراد بعض السّنن التى قلنا إنها لم يبق لها مجالٌ بعد ظهور الإسلام[3] . لذلك يغلب على ظنى أن المؤلف آستعان بالكتب التى نقلها المترجمون من الفارسية إلى العربية فى أيام

(١) مفرده ""حِوَاء"" وزان كتاب . وهى جماعة البيوت المتدانية . وقد آستعمل الجاحظ ""الأحوية والأندية"" فى كتاب ""البخلاء"" (ص ٢٣٥)، فقال : ""إن صاحب المأدُبة وولىّ الدعوة إذا جاء رسولُه — والقومُ فى أحويتهم وأنديتهم — فقال : أجيبوا إلى طعام فلان . فجعلهم جَفَلَةً واحدة — وهى الجَفَالة — فذلك هو المحمود . وإذا آنتقر، فقال : قم أنت، يافلان ؛ وقم أنت، يافلان . فدعا بعضا وترك بعضا، فقد آنتقر"" . [والنَّقَرى هى المذمومة] . وقد ورد فى طبعة العلامة فان فلوتن ""أخويتهم"" بالخاء المعجمة . ولا وجه للإعجام فى هذا المقام، والإهمال هو المتعين فى هذه الحال .

(٢) أُنظر (ص ١٩ و ٢٣) من كتاب التاج .

(٣) نقل الجاحظ صفحات كاملة من آيين الفرس وقوانينهم . [أُنظر (ص ١٤٥ — ١٥٠) من كتاب التاج، وآنظر أيضا (ص ١٥٨ و ١٥٩ — ١٦٣ ثم ص ١٧٣)] . فقد توسل بهذين الآستطرادين الطويلين العريضين لإيراد ثلاثة سطور ثم سطرين .

أبى جعفر المنصور، ومَن كان قبله من بنى مَرْوان، ومَن أتى بعده من سُلالة هاشم .

ولعلّه يكون قد آعتمد أيضا على كتاب "التاج" المصنَّف بآسم كسرى أنوشروان ، ذلك الكتاب الذى فسّره آبن المقفع ،وهو لا يزال إلى الآن سرًّا مكتوما فى ضمير الزمان .

هذا الكتاب : يتضمن من أساليب التعبير والتفكير مالا يكاد يجرى به قلمٌ غير قلم الجاحظ ،أو يرتع فيه رجل سوى شيخ الأدب ،أو يتبجبح فيه غير ذلك العميد لكلّ مفيد ومستفيد .



النسخة الأولى هذا الكتاب

ظَفِرْتُ بنسخةٍ مخطوطة منه فى خزانة طُوبْ قَپُو[1] بمدينة القُسطنطينية فى مجلّدةٍ ـ هى لعمرى! ـ من أنفس الذخائر التى خلّفها الأوائل للأواخر. ذلك بأنها تحوى ثلاثة كتب قيّمة :

١ ـ كتاب الآداب[2] ، لآبن المقفع ؛

٢ ـ الأدب الصغير[3] ، له أيضا ؛

٣ ـ التـاج ، للجاحظ .

(١) تحت (رقم ٢٤١٧ ورقم ١٣٣ أدب) .

(٢) وقد حققنا أنه " الأدب الكبير " بعينه ، كما أشرنا إليه فى طبعتنا الأولى وكما بيناه فى التصدير الذى وضعناه فى مقدمة طبعتنا الثانية التى شرعت جمعية العروة الوثقى بالاسكندرية فى إصدارها فى هذه السنة (١٩١٤) .

(٣) وفى آخر صفحة منه مانصه : "يتلوه كتاب " التـاج " للإمام أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . رحمه الله ورحم جميع المسلمين ! " .

فسرعانَ ماتجردتُ لنقل هذه المجلّدة من أوّلها إلىٰ آخرها بالتصوير الشمسيّ ! وقد أحضرتُها معى – إلىٰ مقرّها الأصيل علىٰ ضِفاف النيل – فى جملة ماتصيّدتُه من مفاخر العرب وكنوز الإسلام : من غُرر التصانيف وروائع الأسفار .

غير أن هذه المجلّدة لاتحتوى – لا فى أوّلها ولا فى آخرها – علىٰ شىء من البيانات التاريخية التى توجد عادة فى الكتب المخطوطة . فهى خِلْوٌ من كلّ أثر للعلومات التى تدل الباحث علىٰ آسم الخِزانة التى كُتبتْ برسمها ، أو علىٰ آسم مالك هذه النسخة ، أو علىٰ الذين آلت إليهم ، أو علىٰ كاتبها ، أو علىٰ سنة نَسْخِها وموضع كتابتها ، أو علىٰ مقابلتها بنسخة أخرىٰ ، ونحو ذلك من التفاصيل الجزئية أو العرضية التى قد يكون من ورائها فائدة كلية أو جوهرية فى معرفة تاريخ الكتاب وهويّته وماهيّته .

وغاية ما يوجد فيها من هذا القبيل هو تعليقة مكتوبة فى أسفل طرّة المجموعة ، تفيد أن رجلا آسمه " يوسف الحلبى " قرأها من أوّلها إلىٰ آخرها ، وأن ذلك كان فى سنة ٨٩٤ هـ . فيجوز أن تكون هذه النسخة مكتوبة فى حلب نفسها أو فى القاهرة .

وهذه المجموعة مشكولةٌ من أوّلها إلىٰ آخرها بالحركات . علىٰ أنّ هذا الضبط مما لايصح الآعتداد به أو الآعتماد عليه فى كثير من الأحيان ، إن لم نقل فى أغلب الأحوال .

ولكنها – مهما كان الأمر – من ذخائر مصر . إذْ أن حَلَب كانت فى ذلك الوقت عُمالة تابعة لسلطان مصر (وهو السلطان قايتباى المحمودىّ المشهور) . وبقيت فى حوزة خلفائه إلىٰ أن آنتزعها السلطان سليم العثمانى من السلطان قانصوه الغورى فى سنة ٩٢٢ للهجرة . فلا بدّ أن تكون هذه المجموعة قد وصلت إلىٰ القسطنطينية

فى ضمن الغنائم التى آستولىٰ عليها السلطان العثمانى ، فإنه نقل خزائن الكتب فى[1] جملة ماانتقل إلىٰ ضفاف البوسفور من ذخائر وطننا وتحفه وطرائفه .

فأما "الأَدَبَان" لأبن المقفع ، فقد أكملتُ طبعهما علىٰ مايليق بمكانتهما فى عالم الأدب والتصنيف ، و بمقام مؤلفهما المنقطع النظير[2] . وكان ذلك بالإسكندرية : مدينتى التى بها درجتُ ، وفيها ترعرعتُ ، وإليها آنتسبتُ . قدّمتُهما هديّةً لجمعية " العروة الوثقىٰ " القائمة بنشر العلم والتهذيب فى أرضٍ أحنُّ إليها وأحنو عليها .

أما "التاج" وهو هذا ، فإنه يقع فى ١٥٨ صفحة بخط نسخىّ من النوع المصرى الذى كان مستعملا فى القرن التاسع للهجرة . وكل صفحة منه تتألف من ١٥ سطرا . وليس علىٰ طُرّته أوعلىٰ خاتمته بيانٌ من البيانات التى توجد عادة فى أوائل المخطوطات وأواخرها سوىٰ ماعلىٰ طرّة المجلدة التى هو فى ضمنها مما يدل علىٰ قراءة هذا الكتاب فى سنة ٨٩٤ وأن القارئ له هو "يوسف الحلبى" الذى سبق لنا الكلام عليه .

اِعتمدتُ هــذه النسخة وآنقطعتُ إلىٰ تحقيقها حولين كاملين حتّى وصلتُ بهــا إلىٰ الغاية التى جعلتُها نُصبَ عينى بمــا آنتهىٰ إليه وُسْعى و بلغه مدىٰ جَهدى . و يعلم الله ــ ويشهد الكثير من أخصّائى الذين كانوا يتردّدون علىّ بمصيفى برمل الإسكندرية

(١) أُنظر مقالتنا باللغة الفرنسية علىٰ الفنون الإسلامية والسبيل إلىٰ إحيائها علىٰ ضفاف النيل :

Le Passé et l'Avenir de l'Art Musulman en Egypte, (Mémoire sur la genèse et la floraison de l'art musulman et sur les moyens propres à le faire revivre en Egypte), par Ahmed Zéki Pacha.

Le Caire 1913, p. 15.

(٢) وقد قررتْ نظارة المعارف العمومية آستعمالهما فى مدارسها ، ونالا من فضل الشيوع والآنتشار ماهو خليق بفضل مؤلفهما القدير .

أو "بخزانتى الزكية" فى القاهرة ــ أننى راجعتُ فى هــذه السبيل أكثر من خمسمائة ديوان فى اللغة والأدب والتاريخ، وأننى كنتُ فى بعض الأحوال أفوز بنيل الأمل[1]، ولكننى فى أكثر الأحيان كنتُ أرضى "من الغنيمة بعد الكدّ بالقَفَل!".



تحقيق بشأن هذا الكتاب

الجـاحظ هو صاحب تلك البـدائع الروائع التى يتطلّع إليها أهل الأدب من العرب ومن غير العرب . ولقد آمتاز هذا النابغة بمزيّةٍ لم يَشْرَكْهُ فيها إلىٰ اليوم أحَدٌ غيره من المتقدّمين والمتأخرين : بين الشرقيين أو الغربيين . تلك الميزة ــ ولا أدرى أهذه التسمية مطابقة لمرادى أم لا ــ هى أن نَفَثاتِ صدره ونَفَحاتِ قلمه ماعتّمَتْ أنْ أصبحتْ مَتاعا مُشاعا ونَهْبًا مُقسَّما بين فُرسان الكتابة وفُرْصان الأدب . فقديمًا سطا عليها المتقدّمون من أرباب الأقلام، ثم هذه بقاياها التى وصلتْ إلينا : لاتزال ملكا مُباحا لكل مَن يتعاطَوْن الإنشاء، يرونها طُرْفة لكل خاطف، وثمرة لكل قاطف .

قاعدةٌ قرّرها القاضى الفاضل، وناهيك بمكانته التى لم يصل إليها أحد من بعده! أفمـا تراه قد سجّل آعترافه علىٰ نفسه، وشرَّعَ هذا المورد لمن آقتدىٰ به أو حاول الجرىَ علىٰ سَنَنِه، منذ قال كلمته المأثورة : "وأما الجاحظ، فمـا منا معاشر الكُتّاب إلا مَن دخل داره، أو شنَّ علىٰ كلامه الغاره، وخرج وعلىٰ كتفه منه الكاره"[2] ؟

---

(١) لذلك آقتصرتُ فى الفهرس الأبجدىّ الأوّل من الفهارس الملحقة بهذا الكتاب علىٰ سرد المصنفات التى آنتفعتُ بها أو نقلتُ عنها أو أشرتُ إليها فى الحواشى وفى تكميل الروايات .

(٢) روىٰ هــذه الكلمة آبن فضل الله العمرى صاحب "مسالك الأبصار" والصفدىّ صاحب "الوافى بالوفيات" وآبن شاكر صاحب "عيون التواريخ" فى ترجمتهم للجاحظ . [والكارة مايحمله الرجل علىٰ ظهره من الثياب . وهى تقارب التى نسميها الآن فى مصر "بُقْجة" . كلمة تركية ، وعربيتها الفصحىٰ "عَكْمَة"] .

حُكْمٌ اعتمدته الجماعة ، وقابلته بالسمع والطاعة ، وما زالت تدأبُ فى تنفيذه إلىٰ هذه الساعة ! حتى إن المتصفِّح لدواوين الأدب لَيَرَىٰ كثيرا من المتقدمين والمتأخِّرين ينقلون عبارة الجـاحظ بِرُمَّتها فينسخونها نسخا ، وآخرين يبترونها بترا أو يمسخونهـا مسخا . وكأنّى بهم قد تمـالَؤُوا كلهم علىٰ عدم الإشارة إليه ، اللّهم إلا فى النادر .

أمرٌ يراه الناظر فى تضاعيف هذا الكتاب وأعطافه ، وفيما علَّقتُهُ عليه من الحواشي والشروح ، وفيما أضفتُهُ إليه فى "تكميل الروايات"[1] .



مـا ٱسم هـذا الـكتاب ؟

لكنّ العجب العُجاب ، أنه مع كثرة الناقلين عن هذا الكتاب ، لم يُشر إليه واحدٌ منهم علىٰ الإطلاق ! بل إننى لم أعثر علىٰ ٱسمه فى كل ما وقفتُ عليه من أسفار المتقدّمين والمتأخّرين ، مع شدّة التنقيب والبحث ، ومداومة التقلب والحرث[2] .

زد علىٰ ذلك أن التاريخيين الذين كتبوا لنـا سيرة الجاحظ ، وأن الأخباريين الذين أفادونا بعض ما له من الكتب والرسائل ، لم يشيروا قطُّ إلىٰ هذا الكتاب بٱسم "كتاب التاج"[3] .

(١) وٱنظر أيضا الجدول المتضمن للكتب الناقلة عن "التاج" فى ص ٦٩ التالية .

(٢) فى "أساس البلاغة" : "حرثت القرآن : أطلت دراسته وتدبُّره" . وفى "تاج العروس" : "الحرث تفتيش الكتاب وتدبره . . . وفى حديث عبدالله : أُحرثوا هذا القرآن ، أى فتشوه وثوِّروه" . ومثل هذا فى لغة الفرنسيين لحرث الأرض ولحرث العلم ، فيقولون : Cultiver une terre ، Cultiver une science

(٣) مع أنه هو المكتوب علىٰ طرّة النسخة المحفوظة بخزانة طوب قبو ، كما تراه فى أحد الرواميز الفتوغرافية التالية لهذا التصدير (ص ٧٣) . ومع أنه مكتوب أيضا بطريق العرض علىٰ نسخة آيا صوفيا كما تراه فى الراموز المطبوع (ص ٧٥) التالية . [وهو مكتوب أيضا فى آخر نسخة "الأدب الصـغير" الموجودة فى ضمن المجموعة المحفوظة بطوب قبو] .

فكان من الواجب أن أتوفر على تحقيق هذه النقطة لإظهار غامضها وإيضاح مُشكلها .



فزعتُ حينئذ إلى الجاحظ نفسه . فقد نوه ببعض مصنفاته فى مقدّمة مصحفه الكبير المعروف بكتاب "الحيوان"[1] وفى تضاعيفه أيضا ، وكذلك فعل فى "البيان والتبيين" . ثم رجعتُ إلى ثَبَت مصنفاته فى "معجم الأدباء"[2] لياقوت الحموى ، وراجعتُ ما كتب عنه الصفدى فى "الوافى بالوفيات"[3] وما أورده آبن شاكر صاحب "عيون التواريخ"[4] . ونظرتُ فيما أورده كاتب چلبى صاحب "كشف الظنون" .

فلم ارَ فى كل ذلك أثرًا لكتاب آسمه "كتاب التاج" منسوبًا إلى الجاحظ . ولكننى وجدتُ ياقوت والصفدى وآبن شاكر وكاتب چلبى يذكرون كلهم لصاحبنا كتابا عنوانه "أخلاق الملوك" . فتحيلتُ أن الكتاب واحدٌ، وله آسمان .

أكَّد ذلك الظنّ عندى وجعله عين اليقين أن النسخة المخطوطة الثانيـة الباقية من هذا الكتاب لا تزال محفوظة فى خِزانة آيا صوفيا بالقسطنطينية ، وعنوانه "كتاب أخلاق الملوك".

(١) طبع بالقاهرة . ومنه نسخة مخطوطة فى مجموعة الإمام الشيخ محمد محمود الشنقيطى بدار الكتب الخديوية . تغلب الصحة على الجزء الأوّل منها ، وأما الثانى فشأنه كالنسخة المطبوعة .

(٢) فى الجزء السادس الذى تم طبعه أخيرا بالقاهرة بعناية صديق الأستاذ مرجوليوث ، المستشرق الإنكليزى

(٣) وقد آستحضرت القطعة المتعلقة بترجمة الجاحظ من نسخة "الوافى بالوفيات" من مجموعة كتب الطيب الذكر العلامة جيانجوس Gayangos . وهذه المجموعة النفيسة موجودة الآن (تحت رقم ٩٢) بخزانة جمعية التاريخ الملوكية بمدريد عاصمة إسبانيا . نقلها لى بالفتوغرافية صديق الشيخ فرنسسكو قُدار D. Francisco Codera المستشرق الإسبانى الشهير . فله مزيد الشكر على هذه المعونة الأدبيّة .

(٤) فى حوادث سنة ٢٥٠ هجرية . وقد تفضل الأب شابو (L'abbé Chabot) المستشرق الفرنسى ، فأتحفنى بصورة فتوغرافية منقولة عن النسخة المحفوظة بمكتبة باريس الأهلية (تحت رقم ١٥٨٨) فله مزيد الشكر على هذه المعونة الأدبية .

وقد وضع بعضهم فى طرتهـا فوق حرف الباء من لفظة "كتاب" كلمة "التـاج" مكتوبة بخط غير الخط الأصلى؛ وكذلك تحت كلمة "كتاب" وضع قوله "فى أمور الرياسة"[1] .

وقد حَصَلْتُ، بحمد الله، على صورتها الفتوغرافية فى الوقت المناسب . وهى التى رمزت لها بحرف (صـ) وتمكنتُ من آستخدامها بكل دقة فى تحقيق هذه الطبعة، على ما يراه الناظر فى كل صفحة .

وهذه النسخة تقع فى ١٦٦ صفحة؛ وكل صفحة تحتوى على ١٣ سطرا . وهى مجردة من البيانات التاريخية التى قد تكون لها علاقة بأصلها وما هيتها . وغاية ما فيها أن ناسخها وضع فى آخرها حاشية مختصرة هذا نصها : "وكان فى المنقول عنها سقامة" .

فلا غرو أن جاءت السقامة فيها مزدوجة .

عود إلى التحقيق فى آسم "التاج"

والراجح عندى أن آسم "التاج" قد صار إطلاقه على هذا الكتاب بعد وفاة مؤلفه بزمان ، أعنى فيما وراء القرن الثامن للهجرة، أى بعد عصر ياقوت والصفدى وآبن شاكر الكتبى . على أنى لا يتسنَّى لى أن أُعيِّن ـ ولو بطريق التقريب أو التخمين ـ الوقتَ الذى أطلقوا فيه آسم "التاج" على كتاب "أخلاق الملوك" .

هذا . وأنا أستبعد كلَّ البعد أن يكون ذلك المجهول الذى كتب لفظة "التاج" على طرة النسخة الموجودة فى آيا صوفيا قد آستمدّ ذلك من النسخة الموجودة فى خزانة طوب قبو . فإن هذه الخزانة كانت لا تزال مُوصَدة الأبواب إلى سنة ١٩٠٨ للميلاد .

(١) أنظر هذا العنوان فى الراموز الثانى من الراميز الفتوغرافية (Fac-simile) التالية لهذا التصـدير (ص ٧٥) .

وفوق ذلك، فهذا فهرسها خِلْوٌ من العنوانين : "التاج" و"أخلاق الملوك". بل يسوغ لى أن أحكم بأن واضع ذلك الفهرس لم يعرف عن كلّ من العنوانين شيئا على الإطلاق . لأن القرائن كلها ــ فيما يتعلق بهذا الكتاب وبغيره ــ تدلنا على أن واضع ذلك الفهرس إنما اكتفى بأخذ العنوان الموجود فى الورقة الأولى من كل مجلّد، دون أن يتصفّح المجلد بأكمله، ليرى ما إذا كان فى تضاعيفه وثناياه كتبٌ أُخرى : كما هى العادة فى كثير من كتب المشارقة، وكما هو حاصلٌ بالفعل فى تلك الخزانة نفسها .

لذلك أجزمُ أن واضع الفهرس الخاصّ بطوب قپو، قد اقتصر على ما رآه فى صدر الورقة الأولى ؛ وقد فعل .

وكيف لا ، ونحن إنما نرى فى الفهرس قوله : "كتاب الآداب للشيخ الإمام العالم العلامة عبد الله بن المقفع رحمة الله عليه" دون أن تكون هنا لك أدنى إشارة إلى "الأدب الصغير" أو إلى "كتاب التاج" ، مع أن الثلاثة موجودة بين الدفّتين .

لا يصحُّ القول بأن ذلك العنوانَ جامعٌ يشمل الكتب الثلاثة معا . وذلك لأنه لم يرد فى طرّة الكتاب الأوّل وهو "الأدب الكبير" عنوانٌ خاصٌّ له ، وذلك بخلاف ما حصل فى طرّة الكتاب الثانى حيث أورد عنوانه هكذا "آداب عبد الله بن المقفع الصغرى" وكما حصل فى الكتاب الثالث حيث أورد عنوانه هكذا : "كتاب التاج تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، رحمة الله عليه" .

فيكون من الصعب ــ والحالة هذه ــ أن يطّلع على كتاب "التاج" إنسان آخر، اللهم إلا أن يكون قد صادف ما وفقنى الله إليه من تقرّى الكتب التاريخية والأدبية كلها فى طوب قپو، واحدًا واحدًا ، كما أُتيح لى منذ بضع سنين . وذلك أمرٌ تحقّقتُ من رب الدار أنه ما كان .



عود الكلام على اسم التـاج والكتب المسماة بهذا الاسم

وهناك باب للتظنّي. ذلك أن المتقدمين كثيرا مايسمون كتبهم بأسماء متعددة[١]. وها هي كتب الجاحظ نفسه، نرى لبعضها عنوانات مختلفة. بل هو نفسه يسميها بأسماء، بعضها مختصر و بعضها فيه شيء من التطويل[٢].

و بعدُ، فنحن نعلم أن الجاحظ كان مُولَعا بآبن المقفع، ومُعْجَبًا به و بآثاره.

أفلا يصح القول بأنه آختار فى بعض الأحيان آسم "التاج" متابعةً لذلك الكاتب العظيم، صاحب كتاب "التـاج فى سيرة كسرى أنوشروان"[٣]؟

ومن جهة أخرى نرى هذا العنوان "التاج" قد آستهام به كثير من أكابر المصنفين. فاختاره نفرٌ من صدور الصدر الأوّل، وعنونوا به بعض كتبهم، مجاراةً لما وصلهم عن أهل فارس الذين سبقوا العرب بتأليف "كتاب التاج وما تفاءلت به ملوكهم". وهو الذى ذكره آبن النديم فى ضمن الكتب التى "ألّفها الفرس فى السِّيَر والأسمار الصحيحة التى لملوكهم"[٤].

(١) نكتفى بذكر "معجم الأدباء" لياقوت. فإنه مشهور أيضا بآسم "إرشاد الأريب"، وبآسم "طبقات الأدباء". ومثل ذلك كتاب المقريزى، فإن آسمه "المواعظ والآعتبار"، وهو مشهور بآسم "الخطط". أوَليس القليلون هم الذين يعرفون العنوان الأصلى لتاريخ آبن خلدون؟ وأشباه ذلك كثيرة جدّا يعرفها الذين يعانون هذا النوع من الأبحاث، أو كما يقول الجاحظ: "كل من كان كلفا بتعرافها وكان له فى العلم أصل وكان بينه و بين التبيين نصيب". أُنظر كتاب الحيوان (ج ٣ ص ٧٣).

(٢) وآنظر الرسالة التى كتبتها بعنوان: "مَن هو الجاحظ، وما هى مصنفاته"؟ وسأنشرها فيا بعد.

(٣) من مؤلفات آبن المقفع أو من ترجمته عن الفارسية. وذكره صاحب كتاب الفهرست. وعليه بحثٌ مفيد وضعه باللغة الروسية الأستاذ إينوسترانسف C. Inostrancew فى كتاب "المباحث الساسانية" المطبوع فى بطرسبورج سنة ١٩٠٩ (ص ٢٨ — ٣٢).

(٤) كتاب الفهرست (ص ٣٠٥).

فمما ظهر من المصنفات فى اللغة العربيه بهذا العنوان، مرتبا على حسب تواريخ وفيات المؤلفين :

١ ـ كتاب التاج[1] فى سيرة أنوشروان ، لعبد الله بن المقفع (وهو أول كتاب صدر بالعربية بهذا العنوان) .

٢ ـ كتاب التاج[2]، لأبى عُبيدة، المتوفى فيما بين سنتى ٢٠٧ و ٢١٣ للهجرة .

---

(١) كتاب الفهرست (ص ١١٨) . [ولعله هو الذى نقل عنه صاحب العقد الفريد ـ لأنى لم أجد فى كتاب الجاحظ الذى أقدّمه إليوم للقراء ما أورده ابن عبد ربه عن كتاب "التاج" ـ فى الجزء الأول من العقد الفريد (ج ١ ص ١١ ، ٢٦ وغيرهما) ، ولا ما أورده ابن قتيبة فى كتاب "عيون الأخبار"] .

(٢) ذكر القفطىّ فى كتاب "إنباه الرواه على أنباه النحاه" كتابين لأبى عبيدة أحدهما باسم "التاج" والثانى باسم "الديباج" (أنظر النسخة المنقولة بالفتوغرافية الموجودة بدار الكتب الخديوية) . كذلك فعل ابن خلكان فى ترجمة أبى عبيدة (أنظر طبع بولاق وطبع باريس والترجمة الانكليزية) . ولم يذكر هذين الكتابين ابن الأنبارى فى "نزهة الألباء" ولا السيوطى فى "بغية الوعاة" . وقد نقل ابن عبد ربه فى العقد الفريد عن "كتاب التاج" الذى لأبى عبيدة (أنظر ج ٢ ص ٥٣ و ٥٥ و ٦٩) . ولكن ابن النديم (ص ٥٢) وابن خير الأندلسىّ (ص ٣٦١) وصاحب "تاج العروس" فى مادة (ج م ر) لم يذكروا له غير كتاب الديباج . ومما ينبغى التنبيه إليه أن العبارة التى نقلها صاحب "تاج العروس" عن جمرات العرب (وقال إنها عن أبى عبيدة فى كتاب الديباج) نراها واردة بنصها تقريبا عن "كتاب الديباج" أيضا فى كتاب "الكامل" للمبرد (ص ٣٧٢ من طبعة ليبسك وص ١١ من ج ٢ طبعة القاهرة) . وهى واردة أيضا مع زيادة ونقص طفيفين فى الألفاظ فى العقد الفريد (ج ٢ ص ٦٩) وصاحبه يقول بأنه نقلها عن كتاب "التاج" لأبى عبيدة . نعم إن التحريف كثير فى العقد الفريد المطبوع فى بولاق ، ولكنه ذكر هذا "التاج" ثلاث مرات وقد شهد القفطى وابن خلكان بأن لأبى عبيدة هذا كتابين أحدهما "التاج" وثانيهما "الديباج" . فهل هما كتاب واحد ؟ ربما يكون ذلك كان . ولعل الرجل سمى كتابه بالديباج ثم لقبه هو أو غيره بالتاج . وذلك لأن النقول التى أوردها صاحب العقد الفريد تدل على أنه موضوع فى بيان مفاخر العرب وبيوتاتها ، وذلك مما يحمل على الظن بأن صاحبه أراد أن يضاهى به كتاب التاج الذى ألفه الفرس . على أن المعلوم أن أبا عبيدة كان من الشعوبية وكان يكره العرب ، وقد ألف كثيرا فى مثالبهم .

٣ ــ كتاب التاج[1]، لابن الراوندى، المتوفى سنة ٣٠١. [ونقضه أبو سهل إسماعيل النوبختى فى كتاب سماه "السبك"[2]].

٤ ــ كتاب التاج[3] للصابى، المتوفى سنة ٣٨٤. ويسمى "التاجى" ويسمى "المتوج فى العدل والسياسة"[4].

٥ ــ كتاب التاج[5]، لابن فارس، صاحب "مجمل اللغة"، المتوفى سنة ٣٩٥.

٦ ــ التـاج[6] فى زوائد الروضة على المنهاج، فى الفقه، لأحد علماء القرن التاسع.

هذه هى بعض الكتب التى عرفناها بهذا الاسم، فيما قبل الجاحظ وبعده، مما قد بلغنا خبره وإن لم يصلنا أثره[7].

(١) ذكره فى كشف الظنون، ولم يعرّفنا بموضوعه.

(٢) أنظر كتاب "الفهرست" (ص ١٧٧).

(٣) ذكره فى كتاب "الفهرست". ونقل عنه البيرونى فى الآثار الباقية (ص ٣٨).

(٤) ذكره فى كتاب الفهرست (ص ١٣٤)، وذكره ابن خلكان فى ترجمة الصابى.

(٥) عرّفنا به ابن خير الأندلسى فى جملة الكتب التى رواها عن أشياخه بالسند المتصل إلى مؤلفيها، فى كتابه المطبوع بمدينة سرقسطة Saragosse من أعمال إسبانيا سنة ١٨٩٥ (ص ٣٧٤).

(٦) ذكره صاحب "كشف الظنون" فى حرف التاء ثم فى حرف الراء والميم (وأنظر أعداد ٢٠٦٠، ٦٦٦٦، ١٣٢٤٢ من طبعة العلامة فلوجل).

(٧) ثم إن العرب أضافوا هذا الاسم إلى غيره. فألفوا: تاج الأسماء، تاج الأنساب، تاج التراجم فى طبقات الحنفية، تاج الحرّة للعرّى، تاج السلاطين فى معرفة الأباليس والشياطين، تاج العارفين، تاج العروس فى الزهد، تاج المداخل، تاج المذكّرين، تاج المصادر، تاج المعانى، تاج المعلّى، تاج المفرق، تاج النسرين. [ذكرها كلها صاحب كشف الظنون. وقد أهملتُ مما أورده ما هو بالتركية أو الفارسية]. ثم تاج الحلية ذكره ابن خير الأندلسى، التاج فى كيفية العلاج، تاج المجاميع، التاج المرصع فى شرح رجز أبى مقرع، تاج المعارف وتاريخ الخلائف، تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق، وهذه الكتب موجودة بخزانة باريس الأهلية. ثم تاج العروس فى شرح القاموس للزبيدى، الخ الخ.

إلىٰ هنا آنتهينا من أنه لا مانع أن يكون الكتاب الذى بين أيدينا قد سماه صاحبه أو الذين جاؤوا من بعده بآسم "التاج" . ولا شك عندنا ولا عند غيرنا فى أنه هو كتاب "أخلاق الملوك" .

ولكن ...



مَن هو المؤلف لهذا الكتاب ؟

بقى علينا أمرٌ آخر، وهو من الجلالة بمكان .

فمن هو المؤلف لهذا الكتاب ؟ ... آلجاحظ أم غيره ؟

إن الجاحظ ترك نحوًا من ٣٦٠ مؤلَّفا، رآها سبط آبن الجوزى كلَّها تقريبا فى مشهد أبى حنيفة النعمان ببغداد، وإن كان لم يذكر لنا شيئا من أسمائها فى "مرآة الزمان".

ولما كان الجاحظ لم يُشر فى مقدّمة كتاب "الحيوان" إلا لشىء يسير جدّا من تآليفه (وليس فيها كتاب "التاج" ولا كتاب "أخلاق الملوك") وكذلك الحال فيما وقفنا عليه من أسفاره الأخرىٰ، فقد بقينا من ذلك الأمر فى شكٍّ مُريب .

نظرة فى أُسلوب الكتاب من حيث الإنشاء

ويَزداد هذا الشكُّ متىٰ قلنا بأنّ أُسلوب الكتاب فى مجموعه قد لا يوافق ماهو معهود من كتابة الجاحظ وظرافته ومَجانته، أوماهو معروف عنه من التمسك بأوهىٰ الأسباب للتلاعب بالألباب .

ذلك لأننا نراه قد خالف هنا عادته فى الآستطراد والآسترسال، والتنقل من حال إلىٰ حال، آللهم إلا فيما لا يُؤْبَهُ به ولا يمكن آتخاذه حجة فيما نحن بصدده من الأبحاث .

لكننا إذا قررنا أن هذا الكتابَ سِفْرُ آدابٍ وأخلاقٍ لا دفتر تبيين وبيان، وأنه خاصٌ بموضوع معين محصور فى أمر واحد معلوم، فقد يزول ذلك الآرتياب الذى ربما يعلق ببعض الأذهان .

نعم، فلقد كانت وظيفة الجاحظ فى هذا الكتاب أن ينقل ماراقه من الآداب التى دوّنها الفرس فى آيينهم وقوانينهم[1]، وأن يسطّر ما تلقّاه عن شيوخه أو سمعه من أقرانه أو تلقفه عن صحابته ممـا يتعلق بأحوال الخلفاء والسادات . فكان عمله قاصرا على ربط الأفكار بعضها ببعض، ولم يكن له مجالٌ يتبسّط فيه ويسرح، أو ميدانٌ يتنشّط فيه ويمرح. كذلك كان شأنه فى طائفة من مقالاته التى قصر فيها الكلام على موضوع واحد، كما فعل فى "مقالة الشيعة" وفى غيرها من رسائله العـديدة وفصوله الكثيرة التى وصلتنا .

على أننا مع ذلك نراه فى "التـاج" ـ كلمـا تراءت له سانحة أو هزّته نشوة ـ قد يغلبه طبعه فيستطرد ويستدرك ثم يعود أدراجه ، ولكن فى المعنى الواحد وفى البـابة[2] الواحدة .

(١) أنظر شرح هذه الكلمة فى كتاب التاج ، فى حاشية (ص ١٩) .

(٢) البابة معناها : الحدّ ، الوجه ، الخصلة ، الشرط ، القبيل ، النوع . وأستعمالنا لها هنا هو بالمعنيين الأخيرين . قال الجاحظ فى الحيوان (ج ٢ ص ٤٥) : " فليس الديك من بابة الكلب ، لأنه إن ساوره قتله قتلا ذريعا " . وقال أيضا (ج ٧ ص ٤٣) : " وقد أيقنا أنهما ليسا من بابته " . ثم روى أيضا (ج ٧ ص ٣٦) أبياتا لتميم بن مقبل ، هذا محلّ الشاهد منها :

بنى عامر، ما تأمرونَ بشاعر * تخيّر باباتِ الكتاب هجائيَـا ؟ ...

نعم إن طابع "الحيوان" صحف الكلمتين الأوليين من الشـطر الثانى من البيت الأول (كما صحف وحرف ومسخ وشوّه فى كثير من المواضع التى لا تعدّ ولا تحصر) فأوردهـا هكذا " يعبر بآيات " ولكن الصحيح ما أوردته هنا . ويؤيد ذلك أن صاحب تاج العروس روى البيت الأول فى مادة (ب و ب) مثـل روايتى وقد فسره بقوله : معناه تخـيّر هجائى من بابات الكتّاب .

وقال الجاحظ أيضا فى كتاب البخلاء : "أنت من ذى البابة ... ، وأما سائر حديث هذا الرجل فهو من هذه البابة" (ص ٤٥ ، ١٤٣) =

وإذا نظرنا بعد ذلك إلى ما تضمنه "التاج"[(1)] من بعض العبارات، نرى أسلوبه يتجلى فيها على أحسن مثال. فبينا هو ينقل عن آداب الفرس وأحوال ملوكهم، إذا به قد أخذته النعرة العربية فعقّب بما يماثل هذه الأحوال أو ما يجانسها مما كان قد وقع للعرب قبل الإسلام أو بعد الإسلام. وذلك كله على سبيل الاستطراد والاسترسال، اللذين هما من أخص سجاياه.

= ومثل ذلك (في نفح الطيب، ج ١ ص ٥٥٩ طبعة ليدن؛ ج ١ ص ٣٩٨ طبعة بولاق سنة ١٢٧٩ هـ) قول القاضي محمد بن بشير الأندلسي:

إنما أزرى بقدري أنني ** لستُ من "بابة" أهل البلدِ ...

وفي "تاج العروس" ما خلاصته: "هذا بابته أي شرطه؛ وإذا قال الناس: من بابتي، فمعناه من الوجه الذي أريده ويصلح . ...

والبابة في الحساب والحدود ونحوه الغاية".

وقال البيروني في كتاب "تحقيق ما للهند": وبسببه أقول فيما هو بابتي منهم ... (ص ١٢).

وفي "شفاء الغليل" أنهم يقولون للعب خيال الظل بابة [أي لكل نوع وقسم من أنواع التمثيل وأقسامه التي نسميها الآن فصول الرواية = Scène] فيقولون بابات خيال الظل. وقد أورد الخفاجي هناك تفصيلا لطيفا وتورية بديعة في أشعار رائقة. فانظرها.

وعلى ذلك قول ابن إياس المؤرخ المصري: "فكانوا مثل بابات خيال الظل: فشيء يجيء وشيء يروح" (بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ١ ص ٣٤٧).

(١) أنظر ص ٢، ٤، ٥، ٨، ١٥، ١٧، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٧، ٣٠، ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٦١، ٦٢، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٨٠، ٨٣، ٨٥، ٩٠، ٩١، ٩٤، ٩٩، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١١٢، ١١٣، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٢٠، ١٢١، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣، ١٥٠، ١٦٧، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٧.

ولنا دليل آخر، وهو أننا نرى الكتاب ينمّ على مؤلفه. ذلك لأن الجاحظ مشهور بالتكرار والترداد والتكثير حتى لقد عابه النقّادة من أهل زمانه، بل أشار هو فى مقدّمة كتاب الحيوان[1] إلى تلك الزراية على طبعه ونحيزته.

ولكنه مع هذا التكرار الذى نراه فاشيا فى كتبه، ومع هذا الانتقاد الذى عابه به قوم من أهل زمانه، لم يرجع عن دينه وديدنه وعادته فى نفس كتاب "الحيوان" ثم فى كتاب "البيان والتبيين". فقد نراه فى تضاعيفهما يذكر الحكمة التى تدعوه إلى ذلك، وقد يكرر فصولا من الكلام ومقطّعات من الأشعار، كلما حانت له نُهْزة أو تجدّدت لديه الفُرْصة، بل كلما ترآى له شِقٌّ ضئيل يفضى به إلى ميدان فسيح يسمح له بالتوسع فى التعبير.

ثم هو فوق ذلك ينقل فى بعض كتبه ما قد تقدّم له فى بعضها الآخر.

فإذا علمنا ذلك كلّه، فلننظر فى كتابه هذا لنتبيّن منه أهذه السليقة موجودة فيه أم لا.

نحن نجد ذلك، بل نجد ماهو أبلغ.

أفما نراه ينقل فى "التاج" شيئا كثيرا مما أورده فى "البيان والتبيين"[2]؟ وهذا أيضا كتاب "الحيوان" قد نقل عنه فى "التاج" فى موضع واحد[3]. ومثلهما كتاب "البخلاء" فى موضع واحد[4] أيضا.

---

(١) أنظر مقدّمة "الحيوان" (ص ٣ س ٤).

(٢) أنظر (ج ٣ ص ١٢؛ ج ٣ ص ٥١؛ ج ١ ص ٦٩؛ ج ٣ ص ١٠٩). وأنظر ما أوردته فى تكميل الروايات فى (ص ١٩٢ عن ص ٢٠) و(ص ١٩٦ عن ح ٤ ص ٤٧) وفى (ص ١٩٧ من ص ٥٣، ٥٤) و(ص ٢٠٣ عن ح ٤ ص ٨١).

(٣) أنظر فى تكميل الروايات فى (ص ٢٠٣ عن ح ١ ص ٨٩).

(٤) فإن الحكاية التى أوردها فى "التاج" (ص ٢٠) عن الجارود بن أبى سبرة وعبد الأعلى، نراها بنصها وحرفها تقريبا فى كتاب "البخلاء" (ص ١٩٣). وقد رواها فى "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٣٢).

فلو كان المؤلف رجلا غير الجاحظ، لكان قد أشار ـ ولو عرَضا أو مرّة واحدة ـ إلىٰ المنقول عنه بطريقة التصريح أو التلميح، أو كان استعمل عبارة مبهمة تفيد النقل علىٰ أى وجه كان .

الناقلون السارقون

وإذا نظرنا الآن من جهة أخرىٰ، رأينا أن جماعة من المؤلفين قد سطوا علىٰ هذا الكتاب ، كما أغار غيرهم علىٰ كثير من بقيّة الآثار التى دبجها بنان الجاحظ . وقد أشرتُ إلىٰ شيء كثير من هذا القبيل فى الحواشى التى حَلّيْتُ بها صفحات هذه الطبعة ، ولكننى رأيت ـ لزيادة الفائدة ولتمحيص الحقيقة ـ أن أجمع ذلك كلّه فى جدول خاصّ فى آخر هذا التصدير[1] .

فعلينا أن نبحث فيما إذا كان القلم قد خان بعض الناقلين فتركوا أثرا محسوسا ملموسا نستدل به تصريحا أو تلميحا علىٰ أن كتابنا هذا إنما هو من نفثات يراع الجاحظ .

فهذا المسعودىّ، قد استحوذ علىٰ حديث يزيد بن شجرة مع معاوية . ولما اضطُرّ لنقل حُكْم الجاحظ، حاسب ذمته وراجع ضميره فلم ينسبه لنفسه بل اكتفىٰ بقوله : "قال بعض أهل المعرفة والأدب ممن صنف الكتب فى هذا المعنىٰ وغيره[2]".

وهذا البيهقىّ، حذا حذو المسعودىّ . ولكنّه تخبّط عند ما نقل حُكْم الجاحظ والحديث الذى يرويه عمن ألقاه إليه[3] .

(١) فى (ص ٦٩) التالية .

(٢) أنظر (ص ٥٧) من التاج و (ح ٤) فيها .

(٣) أنظر (ص ١٧٠) من التاج و (ح ٣ و ٤) فيها ، وانظر أيضا (ص ١٧١) و (حواشى ٢ و ٣ و ٤) فيها .

وهذا صاحب "محاسن الملوك". سطا على "التاج" فنقله كله تقريبا: تارة بالحرف وغالبا بالاختصار. وكأنه قد عاهد نفسه أن لا يذكر الجاحظ قط، غير أنه سها فى آخر الأمر فذكره وسماه باسمه مرتين وأورد ألفاظه بمعناها[1].

على أن هذه الشواهد — وإن كان التدليل بها، كما يقول الجاحظ، قائما فى العقل مطّردا فى الرأى غير مستحيل فى النظر[2]. — فإنها، والحق يقال، لم تصل بنا إلى حدّ اليقين الذى يحسن التسليم به والسكوت عنده، لأنها لا تتضمن القول المقنع ولا الدليل الذى تثلج به الصدور. ونحن إنما نتلمّس البرهانات النيّرة الناصعة، والحجج الظاهرة الساطعة، والشهادات القائمة اللامعة، التى ينتهى إليها العلم، ويقف عندها البيان.



مراجعة العيون التاريخية

وحينئذ فلا سبيل لإزالة الإبهام واستجلاء الحقيقة بطريقة حاسمة إلا إذا استفتينا رجلين هما عمدة التحقيق فى هذا الباب، لأنّ قولهما هو الفصل الذى لا نقض فيه ولا إبرام. أعنى بهما: محمد بن إسحاق النديم، وأبا حيّان التوحيدى الكاتب الشهير.

فكان حقا علينا أن نسائلهما، فعند جهينة الخبر اليقين.

استفتاء ابن النديم، وتحقيق بشأن المطبوع من كتابه

١ — إن "كتاب الفهرست" الذى ألّفه العلامة ابن النديم، قد طبعه الأستاذ فلوجل (Flügel) سنة ١٨٧١ فى ليپسك، مدينة العلم بألمانيا. ولكننا لا نرى فيه شيئا عن الجاحظ، إلا من طريق العَرَض ومن باب الاستطراد.

---

(١) أنظر (ص ١٤٠) من التاج و (ح ٢) فيها.

(٢) كتاب "الحيوان" (ج ٣ ص ١١٧).

فهل يُعقل أن ذلك العلامة الآختصاصى[1] ، الواسع الآطلاع ، المنقطع لمثل هذا الشأن ، يهمل رجلا كالجاحظ ؟

آللهم لا ! وكيف وقد ذكر كثيرا من العلماء والمصنفين الذين هم أقل من صاحبنا بدرجات كثيرة !

بيد أن الحق الصُّراح هو أن النسخة المطبوعة مبتورةٌ . وقد ثبت ذلك مثل وَضَح النهار ، بأُمور ثلاثة :

أوّلها — أن ياقوت يذكر فى "معجم الأدباء" أسماء كثير من العلماء ، ويورد عنهم تفصيلات متعدّدة ، ويذكر لهم تصانيف متنوّعة ، ثم يصرح بنقله عن كتاب الفهرست لآبن النديم[2] . فإذا ما رجعنا إلى النسخة المطبوعة (أو إلى تلك الفصول التى عثر عليها الأُستاذ هوتسما كما سيجىء قريبا) لا نجد لذلك أثرا على الإطلاق . ومعلومٌ أن ياقوت حجة فى النقل وأهل للتصديق فيما يتعلق بالكتب والتعريف بها .

(١) ولا أقول الإخصائى ، لما فى هذه اللفظة من الخلط الذى يتبادر إلى الأذهان ، ولأنها غير واردة بالنص . وكان حقا على الذين آختاروها أن يقولوا "المخَصِّى" وينظروا بعد ذلك إن كانوا يريدون الإصرار على آسم الفاعل ، وهو كما يرون . فغاية ما فى شرح القاموس أنهم يقولون : "أخصى الرجل تعلّم علما واحدا . نقله الصاغانىّ . وهو مجاز" . ولكنا نحن نريد بالآختصاصىّ الذى يبرع فى الآختصاص والآنفراد بعلم واحد ويكون مع ذلك قد شدا بعضا من المعارف المتعلقة به . هـذا فضلا عن أننا نريد الحقيقة لا المجاز . ولذلك ننسبه إلى كلمة الآختصاص ، ويكون اللفظ بالمعنى الشائع فى هذه الأيام من المولّدات . وقد قال فى تاج العروس : "إختص فلان بالأمر وتخصص له إذا آنفرد" . فإن كان أخصّاء الإخصاء يريدون النسبة إلى المصدر ، فقد جاريناهم ؛ ولكننا دفعنا اللبس العالق بآختيارهم .

(٢) أُنظر (ج ١) حواشى (ص ٤٦ و ١٢٧ و ١٤١ و ١٤٣ و ٣١٥) ؛ ثم (ج ٢) حواشى (ص ٨ و ١٧ و ٣٧ و ٤٧ و ١٣١ و ٢٢٢ و ٢٢٦ و ٢٣٥ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٣٥٠ و ٣٨٨ و ٣٩٦ و ٤٠٠ و ٤١٩ و ٥٢٥) ؛ ثم (ج ٣) حواشى (ص ١٣ و ٨٦ و ١٤٠) ؛ ثم (ج ٥) حواشى (ص ٥٦ و ٢٢١ و ٢٧٠ و ٣٧٦ و ٤٣٢ و ٤٣٥) ؛ ثم (ج ٦) حواشى (ص ٤٩ و ١٤١ و ١٩٧ و ١٩٨ و ٢٠٤) .

ثانيا — أن الأستاذ هوتسما Houtsma عثر على جملة تراجم[1] مما كتبه ابن النديم (وهى غير واردة فى النسخة المطبوعة) فنشرها فى المجلة النمساوية للعلوم الشرقية بنصها العربى[2]، مع خلاصة عليها باللغة الألمانية. وكل ماجاء فيها عن الجاحظ لا يزيد على أحد عشر سطرا، مبتورة من الأول ومن الوسط ومن الآخر. وما هى إلا نتفة من رسالته إلى محمد بن عبد الملك الزيات، الوزير العباسى المشهور . ولا مشاحة فى أنها كانت مبثوثة فى فصل كبير طويل .

ثالثا — (وهو أبلغها) أن ياقوت قد أورد ترجمة الجاحظ فى الجزء السادس من "معجم الأدباء" ونقل فيها عن كتاب الفهرست أن صاحبه يقول إنه رأى كتابين من كتب الجاحظ بخط وراقه[3] . ونحن نبحث على غير طائل عن هذه العبارة فى النسخة المطبوعة من كتاب ابن النديم !

فلم يبق بعد ذلك أدنى ريب فى أن ابن النديم ترجم للجاحظ، وعرف به تعريفا وافيا، وأفاض فى سرد أسماء كتبه، وشرح أحوالها كلها أو بعضها.

لذلك تعلقت همتى بمواصلة البحث واستقصائه فيما أعلمه من النسخ المخطوطة التى لا تزال محفوظة ببعض الخزائن المعروفة لنا .

(١) عن : واصل بن عطاء ، العلاف ، النظام ، ثمامة بن أشرس ، الجاحظ ، ابن دؤاد ، ابن الراوندى ، الناشى ، أبو على الجبائى ، الرمانى ، ابن زبر ، هشام بن الحكم ، شيطان الطاق .

(٢) راجع (ص ٢١٨ — ٢٣٥ من ج ٣) من المجلة المذكورة (WZKM) الصادر فى سنة ١٨٨٩ .

(٣) أنظر معجم الأدباء (ج ٦ ص ٧٥)، وهذا نصه : قال ابن النديم : "ورأيت أنا هذين الكتابين بخط زكريا بن يحيى، ويكنى أبا يحيى، وراق الجاحظ" .

فكان أوّل ما باشرتُ البحث فيه (بالواسطة) هو النسخة الباقية من ذلك الكتاب النفيس بمكتبة المرحوم عارف حكمت[1] بالمدينة المنورة . ولكننى تحققتُ أنها لا تتضمن الضالّة المنشودة .

كذلك كان الشأن فى النسخ الثلاث الباقية بالقسطنطينية ، والأولى منها محفوظة بخزانة يكى جامع[2] ، والثانيتان فى مكتبة الكوپرلى[3] .

ولكنّ هذه النتيجة السلبية لم تُثبط همتى ولم تُقعد عزيمتى . بل واصلتُ البحث والتنقيب حتى عثرتُ فى خزانة الشهيد على باشا بالقسطنطينية[4] على النصف الثانى من كتاب " الفهرست " ، وعليه أماراتٌ ربما يؤخذ منها أنه بخط المصنف نفسه . وهى نسخة جليلة جدًّا ، وبخط واضح فى غاية الصحة والضبط[5] . فنقلتها بالفتوغرافية وضممتُها دُرّة فاخرة إلى خزانة كتبى بالقاهرة . غير أن سوء الحظ قضى أنْ لا تتحقق فيها الأمنية ، وأن يبقى الظلام حائلا دون بلوغ المرام . فإن هذا النصف يبتدئ من الكلام على «الواسطى» المعتزلى ، وينتهى إلى آخر الكتاب .

وهـذا الأسم واردٌ فى النسخة المطبوعة[6] تحت عنوان المقالة الخامسة ، مباشرة[7] . ولكنّه جاء فى نسختنا فى رأس الصفحة ، بما يدل على أنه تالٍ لكلامٍ آخر تقدّم عليه

(١) تحت رقم (٤٤٧) بعنوان "فهرست العلوم القديمة" .

(٢) تحت رقم (٨١٥) وعنوانها "أسامى الكتب المسمّى بالتذكار الجامع للآثار" .

(٣) تحت رقمى (١١٣٤ ، ١١٣٥) ، وكل منهما عنوانه " فهرس العلوم" .

(٤) وفهرسها غير مطبوع للآن .

(٥) محفوظة تحت رقم (١٩٣٤) .

(٦) ص ١٧٢ .

(٧) وقد نبّه الطابع فى تعليقاته باللغة الألمانية على سقوط بعض الفصول التى يجب أنها كانت تكون واردة فى هذه المقالة قبل الكلام على " الواسطى " .

تحت عنوان تلك المقالة التى يدور فيها الكلام على المعتزلة . وبديهىٌّ أن القسم الذى عثر عليه العلامة هوتسما هو متقدّم أيضا على الواسطىّ المذكور : لأنه يشـتمل على أسماء كثير من كبار المعتزلة ، وفى جملتهم الجاحظ .

فلا بدّ أن يكون الكلام على الجاحظ قد جاء فى ختام النصف الأوّل بَلْهَ فى رأس النصف الثانى من هذه النسخة الثمينة . ولكنْ أين هى تلك الورقات التى تزيل الشـك المريب ، وتقول لأهـل البحث والتنقيب : "قَطَعَتْ جَهِـيزَةُ قَوْلَ كُلِّ خَطِيبٍ" ؟

فلم يكن لى مناصٌ بعد جميع هذه النتائج السلبية سوى أن أحتسب على الله ما تجشمته من العناء ، وأن أتربّص إلى أن تُتيح لنا الأقدار نسخة كاملة صحيحة من كتاب "الفهرست" فنقف منها على ما قاله صاحبه عن الجاحظ ونعرف ما أورده له من أسمـاء الكتب والمصنفات ، وهل فيها إشارة إلى "التاج" أم لا .

استفتاء أبى حيان التوحيدىّ

٢ ـ أبو حيّان التوحيدىّ الكاتب الطويل النفَس ، ألّف كتابا فى "تقريظ الجاحظ" . وقد رآه ياقوت الحموىّ ونقل عنه فصولا كثيرة فى "معجم الأدباء" وأفادنا أنه نقل مانقل من خط أبى حيّان (١) . ولكن هذا الكتاب لم يصل إلينا أيضا . غير أن الذى نقله عنـه ياقوت يدلّ على أن الرجل قد استوعب فيـه الكلام عن الجاحظ ، ولا بدّ أن يكون قد استوفى فيه التعريف بكتبه أيضا . وأين "أين السُّها من كفِّ المتطاول" ؟ بل أين "أينَ الثُّرَيّا مِنْ يَدِ المُتَنَاوِلِ" ؟

---

(١) أنظر معجم الأدباء (ج ٦ ص ٥٨ ، ٦٩) فى ترجمة الجاحظ .

✣

بحث عن الكتب المسماة بأخلاق الملوك

حينئذ لم يبق لدينا سندٌ صحيح، ولا نصٌّ صريح — قبل ياقوت — على أن الجاحظ هو صاحب كتاب "أخلاق الملوك".

فكان حقا علينا أن نقف هُنَيهة لنرى هل هذا النقل صادق وهل هذا الخبر مطابق للواقع.

نترك جانبا ما لنا من الثقة التامة في أمانة ياقوت الذى كان من أعرف الناس بالكتب ومصنفيها، ونقول:

إذا ما نظرنا فيما وصل إلينا عن الكتب المسماة بـ"أخلاق الملوك" نرى أن الأمر لايتعدّى ثلاثة من الناس، وهم: الفتح بن خاقان، ومحمد بن الحارث التغلبي (أو الثعلبي)، والجاحظ.

فلننظر أيُّهم هو صاحب كتابنا هذا!

التعريف بالفتح ابن خاقان

١ — الفتح بن خاقان. هذا الوزير كان من المغرمين بالكتب غراما شديدا. وكانت له خِزانة حكمة لم يرَ الناس أعظم منها: كثرةً وحسنا. جمعها له علىّ بن يحيى المنجم من كتبه ومما استكتبه الفتح نفسه [١].

وقد كان يشمل برعايته كثيرا من أكابر العلماء [٢]، وكان يحضر داره فصحاء الأعراب وعلماء البصرة والكوفة [٣]. وممن كان فى جملته المفضَّل بن سَلَمَة اللغوىّ المعروف [٤].

(١) أنظر كتاب الفهرست، والوافى بالوفيات (عن القطعة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية: فى ترجمة الفتح بن خاقان).

(٢) أنظر كتاب الفهرست فى ترجمته.

(٣) الوافى بالوفيات (عن القطعة السابق ذكرها قبلُ).

(٤) أنظر كتاب الفهرست (ص ٧٣).

وكان الفتح يتبارى في تفسير الآيات مع المبرد وأمثاله[1] . وللبحترى فيه مدائح كثيرة ، هي من غُرر ديوانه[2] . وصنف جماعة منهم كتبا بآسمه - أى قدموها إليه - ومن جملتهم الجاحظ ، وكذلك العلّامة الشهير أبوجعفر محمد بن حبيب الذى صنف بآسمه "كتاب القبائل الكبير"[3] . ومثلهما صاحبنا محمد بن الحارث ، صاحب الكتاب المسمّى "أخلاق الملوك" الذى سيأتى الكلام عليه عما قريب .

فلا غرابة أن رجلا مثل الفتح فى محبته للكتب وآجتماعه بالعلماء ومشاركته لهم فى المباحث الدقيقة يكون هو أيضا من جملة المصنفين . فقد روى له صاحب "الفهرست" أربعة كتب ، وهى :

(١) كتاب الصيد والجوارح ،

(٢) كتاب الروضة والزهر ،

(٣) كتاب البستان ،

(٤) كتاب آختلاف الملوك . (هكذا بالتاء والفاء)

---

(١) أنظر مروج الذهب (ج ٧ ص ١٩٧) .

(٢) يوجد منه ثلاث نسخ مخطوطة بدار الكتب الخديوية ، ثنتان واسعتان متشابهتان ، والثالثة مختصرة . (أنظر الفهرس فى قسم الأدب) . وذلك خلاف النسخة المطبوعة فى "الجوائب" وفيها أغلاط مطبعية كثيرة . وليست المخطوطات من الطراز الأوّل من حيث الصحة والضبط .

(٣) كتاب الفهرست (ص ١٠٧) .

فأما الكتاب الأول، فهو خارج عن موضوعنا وعن دائرة "اختصاصنا" وبحثنا. ولا شبهة لنا فى أنه من تصنيف هذا الوزير، لاسيما أنه يتعلق بأمور، يألفها الملوك والأمراء والوزراء والسادات. ونحن نعلم أنه كان فارسا مقداما وأنه قتل أسدا، على ما تشهد به إحدى القصائد الطنانة التى مدحه بها البحترى.

أما الكتاب الثانى، فسيأتى الكلام عليه عند ذكر محمد بن الحارث.

وأما الثالث (وهو كتاب البستان) فقد صرح المسعودى بأنه ألفه فى أنواع من الأدب[1]. ولكن ابن النديم (الذى هو أعرف بهذه الشؤون) نفى ذلك وأكد لنا أنه "منسوب إليه والذى ألفه رجل يعرف بمحمد بن عبد ربه ويلقب برأس البغل"[2].

وهكذا الصفدى، فإنه لم يذكر للفتح سوى الكتاب الأول (الصيد والجوارح) ثم كتاب البستان هذا، وقد قال عنه: "صنفه رجل يعرف بمحمد بن عبد ربه ويلقب برأس البغل، ونسبه إليه"[3].

فهذه أول شبهة يصح لنا أن نستنبط منها أن من الكتب المصنفة برسمه، ما قد اشتهر بعده باسمه، حتى قال الناس إنه من وضعه.

وأما الكتاب الرابع، فالظاهر أن اسمه ورد محرفا عن "أخلاق الملوك". ولا نستشهد بأن صاحب "معجم الأدباء" ولا صاحب "كشف الظنون" ولا صاحب

(١) مروج الذهب (ج ٧ ص ١٩٢).

(٢) أنظر ترجمته فى كتاب الفهرست.

(٣) فى ترجمته فى الوافى بالوفيات (من القطعة السابق ذكرها قبل).

" الوافى بالوفيات " لم يذكروا أن للوزير كتابا بآسم "آختلاف الملوك" أو "أخلاق الملوك" . لأنه ربمـا يكون قد فاتهم، هذا إن كان. ولكننا نقول هنا إنه يجوز أن يكون هذا الكتاب للفتح، أو لمحمد بن الحارث، أو للجاحظ .

فإن كان للفتح كتاب بآسم "أخلاق الملوك" أو "آختلاف الملوك" فهو على كل حال ليس الذى بأيدينا. لأن كتاب "التاج" يتضمن فى أوّله وفى آخره مدحا للفتح آبن خاقان وتنويها بذكره، وينادى صاحبه بأعلى عقيرته أنه قدّمه للفتح بن خاقان[1] .

ولنا أن نتوهم أن صاحب "الفهرست" إنما أراد ــ عند الكلام على الفتح ــ أن يشير إلى الكتاب المترجّم بأخلاق الملوك الذى ألفه محمد بن الحارث أو الجاحظ بآسم الفتح، ثم نتوسّع فنقول إن آبن النديم لم يذكر لنا مؤلفه الأصلىّ كما فعل عند كلامه على " كتاب البستان " . ولسـنا نبحث عمـا إذا كان الإهمـال حصـل من نفس آبن النديم، أو حدث بسبب النقص الكثير الموجود فى النسخة المطبوعة[2] .

وعلى كل حال فليس للفتح بن خاقان شأن فيما نحن بصدده .

كلام عن محمد آبن الحارث

بقى علينا أن نبحث عمـا يتعلق بابن الحارث التغلبى (أو الثعلبى) الذى يؤكد لنـا آبن النديم بأنه ألف كتابا بآسم "أخلاق الملوك"[3].

أنا لا أمنع أن يكون هذا الرجل ألف كتابا بهذا الأسم وقدّمه إلى ذلك الوزير. وإنمـا أقول إن ذلك لا يعارض أن يكون الجاحظ أيضا قد ألّف كتابا آخر وترجمه

(١) أنظر (ص ٤ و ١٨٦) من كتاب التاج .

(٢) ففى نسخة كتاب الفهرست مواضع كثيرة لاهل النقد والنظر . مثال ذلك أنها نسبت إلى حسن بن محبوب ثمـانية عشر كتابا من الكتب التى ثبت أنها من تآليف الكوفى . أنظر معجم الأدباء (ج ٢ ص ١٣) .

(٣) كتاب الفهرست (ص ١٤٨) .

بنفس ذلك العنوان ثم قدّمه إلى الوزير نفسه . فكثيرا ما نرى المتفاصرين يؤلفون كتبا بعنوان واحد و يقدّمونها إلى سرىّ واحد [1] .

ولكننى أرى هنالك شبهة قوية تمنع أن يكون الكتاب الذى بأيدينا هو من تأليف محمد بن الحارث .

بيان ذلك :

إن هذا الرجل ألف كتابين آخرين بشهادة ابن النديم . أحدهما كتاب رسائله ، والثانى كتاب "الروضة" .

نقف قليلا عند هذا الكتاب الثانى ، مترددين فى شأنه . أفلا يكون هو نفس الكتاب الذى نسبه ابن النديم للفتح بعنوان " الروضة والزهر "؟ فيكون شأنه حينئذ شأن كتاب "البستان" الذى ألفه رأس البغل ونسبه الناس للفتح!

ولكننا نرجع مسرعين إلى كتاب " أخلاق الملوك " المنسوب لابن الحارث ، ونأتى بما عندنا من الدلائل على أنه إذا صح وجوده ، فهو غير الذى بأيدينا .

نعم إن "مروج الذهب" المطبوع فى باريس أشار إلى "محمد بن الحارث الثعلبى صاحب الكتاب المعروف بأخلاق الملوك المؤلف للفتح بن خاقان" [2] . ولكن النسخة المطبوعة فى بولاق تسميه " أخبار الملوك [3] " ومثلها نسخة أخرى مخطوطة فى "خزانتى الزكيّة" .

(١) أنظر كتاب الفهرست ، ومعجم الأدباء ، وكشف الظنون (فى غير ما موضع) .

(٢) طبعة باريس (ج ٢ ص ١٢) .

(٣) طبعة بولاق (ج ١ ص ٥ س ١) .

فلم لايكون ذلك الرجل كتب كتابه وترجمه "أخبار الملوك" ثم تصحفت الكلمة فى النسخة أو النسخ التى كانت أصلا لمـا اعتمدوه فى طبع "المروج" بباريس ؟ ولم لا يكون حصل مثل ذلك عند طبع "الفهرست" فى ليبسك[1] ؟

ولكن ذلك ــ والحق يقال ــ لانعتبره برهانا حاسما فى أن هذا الكتاب الذى بأيدينا ليس لابن الحارث .

لذلك كله لم يبق لدينا سوى وسيلة واحدة لاستطلاع الحقيقة من الكتاب نفسه .



استفتاء الكتاب نفسه لمعرفة مؤلفه

فتعالوا بنا نسائله ليخبرنا هو عن مؤلفه الحقيقى بمـا يزول معـه كل ارتياب وتتجلى به الحقيقة ناصعة دون حجاب .

الكتاب يُدلى بحجة صاحبه وينادى على رؤوس الأشهاد بأنه من تأليف الجاحظ .

أسلوب الجاحظ

أولا ــ إن الجاحظ قد امتاز بأسلوب مخصوص من الكتابة والتعبير : أسلوب فيه حلاوة ، وعليـه طلاوة ، وله رشاقة ؛ أسلوب تتجلى فيه الألفاظ العذبة ، والمخارج السهلة ، والديباجة الكريمة ، والطبع المتمكن ، والمعـانى التى إذا طرقت الصـدور عمرتها ، وإذا صارت إلى القلوب أصلحتها من الفساد القديم ، وإذا جرت على الألسنة فتحت لها أبواب البلاغة .

وها هو "التاج" إذا أجلنا النظر فى تضاعيفه وثناياه وأعطافه ، وجدناه حاليا بعيون الكلم الروائع والفقر الحسان ، والنتف الجياد ، مما ينادى بأن صانعه الماهر ، وصائغه الحاذق ، هو هو "الجاحظ" صاحب السـبك الجيد ، وربّ الكلام الذى له ما

(١) وقد ثبت لنا عن ياقوت أن فيها تحريفا كثيرا ، كما أشرنا إليه فى إحدى الحواشى المتقدمة (ص ٤٠) .

ورونق ، وفيه قرة العين وجلاء الصدور . تلك الصنعة عليها طابع الجاحظ كما هو معهود عند نُقّاد الألفاظ وصيارفة النثار والنظام وجهابذة المعانى .

والشاهد الصادق والحجة القاطعة علىٰ مانقول يتجليان فى أجمل حُلّة عند ما ينظر القارئ فى الصفحات التى سبقت الإشارة إلىٰ أرقامها(1) .

هنالك يشنف القارئ سمعه بالألفاظ المستحسنة فى الآذان، التى تدخل علىٰ الأذهان بغير آستئذان . هنالك يذوق فى كل سطر تلك الحلاوة و يبتهج فؤاده حيال تلك الطلاوة وهاتيك الرشاقة التى آختص بها "الجاحظ" ، إلى ماهو معروف عنه من السهولة والعذوبة التى تحببه إلىٰ النفوس . هنالك نجد المعنىٰ يسابق اللفظ، ونشهد اللفظ يجارى المعنىٰ : بطريقة تَهَشُّ لها الأسماع، وتلتحم بالعقول، وترتاح إليها القلوب ،وهنالك نجد اللفظ كريما فى نفسه، متحيزا إلىٰ جنسه، متخيَّرا فى نوعه . هنالك نرىٰ الكلام سليما من الفضول، بريئا من التعقيد .

و إليك أمثلةً نؤيد بها قولنا،وننقلها هنا حجة علىٰ صدق رأينا ، ونترك للقارئ مراجعة الباقى فى سائر المواطن التى تبهناه إليها . أمثلة من صياغته

قال صاحب "التاج" فى صفحة ٢١ :

فإنا قد نرىٰ الملك يحتاج إلىٰ الوضيع للهوه ، كما يحتاج إلىٰ الشجاع لبأسه ؛ و يحتاج إلىٰ المضحك لحكايته ، كما يحتاج إلىٰ الناسك لعظته ؛ ويحتاج إلىٰ أهل الهزل ، كما يحتاج إلىٰ أهل الجد والعقل ، ويحتاج إلىٰ الزامر المطرب ، كما يحتاج إلىٰ العالم المُتقِن .

(1) فى (ح ١ ص ٣٩) من هذا التصدير .

وفى صفحة ٢٤ :

لم يكن فى هذه الطبقة الثالثة خسيس الأصل ولا وضيعه ، ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول والقِصَر ولا مؤوف ولا مرمىّ بأُبنة ، ولا مجهول الأبوين ، ولا آبن صناعة دنيئة كآبن حائك أو حَجّام ، ولو كان يعلم الغيب مثلا .

وفى صفحة ٤٥ :

والسكرحدّ إذا بلغه نديم الملك ، فأجمل الأمور وأحراها بأخلاقه أن لا يؤاخذه بزلة إن سبقته ، ولا بلفظة إن غلبت لسانه ، ولا بهفوة كانت إحدىٰ خواطره .

والحدّ فى ذلك أن لا يعقل ما يقول ولا ما يقال له ، وإن حُلِّيَ ونفسه رمىٰ بها فى مهواة ، وإن أراد أحد أخذ ثيابه لم يمانعهُ .

فأما إذا كان ممن يعرف ما يأتى وما يذر ، وكان إذا رام أحد أخذ ما معه ، قاتله دونه ؛ وكان إذا شتم ، غضب وآنتصر ؛ وإذا تكلم ، أفصح وقل سَقَطُه : فإذا كانت هذه صفته ثم جاءت منه زلة ، فعلىٰ عمد أتاها وبقصد فعلها . فالملك جدير أن يعاقبه بقدر ذنبه . فإنْ ترك عقوبة هذا ومن أشبه ، قدح فى عزه وسلطانه .

وفى صفحة ٤٨ :

وهذا إبراهيم بن المهدىّ بالأمس . دخل علىٰ (أحمد) بن أبى دؤاد (بن علىّ) وعليه مبطنة ملوّنة من أحسن ثوب فى الأرض ، وقد آعتم علىٰ رأسه رصافية بعمامة خز سوداء لها طرفان خلفه وأمامه ، وعليه خف أصفر وفى يده عكازة آبنوس ملوّح بذهب ، وفى أصبعه فص ياقوت تضيء يده منه . فنظر إلىٰ هيئة ملأت قلبه وكان جسيما ، فقال : "يا إبراهيم ! لقد جئتنى فى لبسة وهيئة ما تصلح إلا لواحد من الخلق" . فآنصرف فلم يأته حتّى مات .

وفى صفحة ٦١ :

ألا ترىٰ أن الملك قد يغضب علىٰ الرجل من حُماته ، والرجل من حامته وبطانته : إما لجناية فى صلب مال ، أو لخيانة حرمة الملك ، فيؤخر عقوبته دهرا طويلا ، ثم لا يظهر له ما يوحشه ، حتّى يتق ذلك فى اللحظة والكلمة والإشارة وما أشبه ذلك .

وليست هذه أخلاق سائر الناس ، إذ كنا نعلم أن طبائع الناس الآنتصار فى أول أوقات الجنايات وعند أول بوادر الغضب .

بعض مصادره

ثانيا — أن بعض المصادر التي عوّل عليها صاحب "التاج" نجدها متفقة مع ماتراه في الكتب التي لاريب في أنها من آثار "الجاحظ".

فقد اعتمد الجاحظ على ابن نجيح [1] وعلى إبراهيم بن السّندي بن شاهك [2] وعلى محمد ابن الجهم [3] وعلى صباح بن خاقان [4].

وكذلك شأنه في النقل عن "كليلة ودمنه" [5].

أما المدائنيّ والهيثم والشّرقيّ بن القطاميّ، فالنقل عنهم كثير جدا في كل كتبه. فلا نطيل بالاستدلال بهم فيما نحن بصدده.

تكرار الجاحظ وترداده

ثالثا — إن الجاحظ مشهور بالتكرار والترداد، وهو أمر نشاهده أيضا في كتاب "التاج" ودليلنا على ذلك ماتراه:

---

(١) في "التاج" (ص ٤) وفي "الحيوان" (ج ٦ ص ١٢٩).

(٢) في "التاج" (ص ١٢) وفي "الحيوان" (ج ٢ ص ٥٠ ، ج ٤ ص ١٣٥ ، ج ٥ ص ١٠٣ ، ١١٩ ، ج ٧ ص ١٢) وفي "البخلاء" (ص ٢٦) وفي "البيان والتبيين" (ج ١ ص ٤١ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٧٩ ، ١٢٩ ، ج ٢ ص ٣٩ و ١٥٤) وفي "مناقب الترك" (ص ٤٧ و ٥٠) وفي "العشق والنساء" (ص ١٦٧).

(٣) في "التاج" (ص ٥١) وفي "الحيوان" (في مواضع كثيرة من جميع الأجزاء) وفي "البخلاء" (ص ١٤٨) وفي "البيان والتبيين" (ج ١ ص ٤٥ ، ج ٢ ص ١٦ و ١٦١) وفي "مناقب الترك" (ص ٢٤ و ٣٥).

(٤) في "التاج" (ص ١١٠) وفي "الحيوان" (ج ٤ ص ١٠٠) وفي "البيان" (ج ١ ص ٤٨ و ١٣٦).

(٥) في "التاج" (ص ١٣٨) وفي "الحيوان" (ج ٦ ص ١٠٨ ؛ ج ٧ ص ٢٩ ، ٣٠).

١ً — فى كلامه على تفرد الملوك (ص ١٧، ٤٧)؛

٢ً — فى بيانه لكمية الشرب وكيفيته (ص ٢٢، ٤٩، ٨٩)؛

٣ً — فى شرحه لاستماع حديث الملوك (ص ٥٣، ١١٢)؛

٤ً — فى ذكره لطريقة تحديث الملوك (ص ٤٩، ١١٢، ١١٧)؛

٥ً — فى سرده سيرة الخلفاء والملوك فى الشرب (ص ٣٢ — ٤٣ و ص ١٥١)؛

٦ً — فى إتيانه على آداب أهل الزلفى بعد المضاحكة (ص ٦١، ٦٨)؛

٧ً — فى دلالته على وجوب الاحتياط على الملك عند الدنو منه (ص ٥٣، ٧٠).

وهنالك مواضع أخرى من هذا القبيل، أضربنا عن ذكرها لأنها مبثوثة فى الكتاب يراها المتأمل بغير عناء.

شارته إلى كتبه المتقدمة

رابعا — لأن المؤلف نفسه يقول فى صفحة ٥ من "التاج":

ولعل قائلا يقول، إذا رآنا قد حكينا فى كتابنا هذا بعض أخلاق الملوك الماضين من آل ساسان وملوك العرب: "قد ناقض واضع هذا الكتاب إذ زعم أنه ليس لأخلاق الملك الأعظم نهاية". فيظلم فى اللفظ ويعتدى فى المقال. وأولئك الملوك هم عند ملوكنا كالطبقة الوسطى عند النمط الأعلى. أنت تجد ذلك عيانا وتشهد عليه بيانا. وعلى أن هذه المقالة لا يقولها من نظر فى سير من مضى وسير من شاهد. وبالله التوفيق!

وبديهى أن محمد بن الحارث لا يصح له أن يقول مثل هذه الكلمة لأن كتبه الثلاثة "الصيد والجوارح"، و"الروضة والزهر"، و"البستان" لا تحتمل أن تكون موضوعا لبعض "أخلاق الملوك الماضين من آل ساسان وملوك العرب". أما الذى له الحق الصراح فى أن يأتى بمثل هذا القول فإنما هو الجاحظ دون صاحبه. وها هى كتب الجاحظ التى وصلت إلينا نراها مفعمة بتفاصيل من هذا القبيل! فما ظنك بالتى ضن بها علينا الزمان؟

بعد التحرير

وفيه تعريف بنسخة ثالثة من كتاب "التاج"

مكتوبة فى مدينة حلب الشهباء

كان إرسال كتاب "التـاج" إلى المطبعة الأهلية فى يوم ١٧ محرم سـنة ١٣٣٠ (٧ يناير سنة ١٩١٢) بأمر رسمىّ من نظاره المعارف العمومية .

من ذلك العهد توفّرتُ على خدمته بتحقيق ألفاظه وعباراته و إنعـام البحث فى مبانيه ومعانيه وتحلية حواشيه وتصحيح مسودّاته وتجاربه ، ثم آنقطعتُ لكتابة " التصـدير " وتكميل الحواشى وتحرير الفهارس حتى فرغتُ من ذلك كله فى يوم الأربعاء ٢٠ ذى الحجة سـنة ١٣٣١ (١٩ نوفمبر سنة ١٩١٣) . فأرسلتُ للطابعة الأميرية الإذن بآعتماد الطبع نهائيا .

ولكن الأقدار ساقت لى نسخة ثالثـة من "التاج" على غير آنتظار . فقد حضر إلى القاهرة فى يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١٣ رجلٌ من الذين يتعاطَوْن تجارة التحائف والطرائف بمدينة فلورانسة ، من أعمال إيطاليا ، وهو جناب المسيو شرمان S. Sherman ومعه طائفة من الكتب الخطية باللغة العربيـة والتركية والفارسية ممـا آشتراه من القسطنطينية من المجموعة التى تضمنتها خزانة خالص بك . وقد طلب منى مشاهدة ما معه من الأسفار ، فتصفّحتُها واحدا واحدا ، وليس فى وسعى أن أصف آبتهاجى وسرورى حينما عثرتُ فى جملتها على نسخة من كتاب "التـاج" .

لذلك أسرعتُ فطلبتُ من المطبعة إيقافَ طبع التصـدير والفهارس إلى أن يتم لى تصفّح هذه النسخة الثالثة التى أسميها "بالحلبية" .

راجعتُ هذه النسخة على طبعتي كلمةً كلمةً وحرفا حرفا . فألفيت فى "الحلبية" أغلوطات كثيرة، وتحريفات متعددة . ووجدتُ فيها بعضا من العبارات التى اعتمدتها فى طبعتى، نقلا عن نسخة آيا صوفيا . ولست أتكلم عما فى "الحلبية" من التحريف الذى قلما تخلو منه صفحة واحدة بل سطر واحد ، ولا عما تضمنته من الحروف والكلمات الزائدة أو الناقصة، ولا عن العبارات المبتورة . فإن الذى يَعْنِينى منها إنما هو بعض ماتضمّنته من الزيادات التى فيها فائدة جوهرية، أو قد يكون لها شبه مزية عَرَضية . هذه الزيادات هى التى اكتفيتُ بتحريرها فى باب عنونتُه باسم "استدراك" وأضفته عقب باب "التصحيحات" حتّى يكون "التاج" متحليا بكل ما يمكن من مزايا الجمال والكمال .



أمّا وقد سبق لى وصف النسخة السلطانية (س) فى صفحة ٢٧ و٢٨ ونسخة آيا صوفيا (ص) فى صفحة ٣١ و٣٢ من هذا التصدير، فلا بدّ لى من أن أقول فى هذا المقام إننى أكملتُ كلًّا من هاتين النسختين بالأخرى، وأتعبتُ نفسى كثيرا فى تصحيح ما أودعه فيها الناسخان الماسخان من سخافات وحماقات وضلالات، ومن تشويهات وتبديلات وجهالات .

ذلك بأننى شمّرتُ عن ساعد الجِدّ ، وراجعتُ كتب الثقات، وبذلتُ كل ما فى الطوق لتقويم المعوجّ و إصلاح الخطل بما وسعه الجهد و بلغه المقدور، حتّى جاءت طبعتى لكتاب "التاج" جامعةً لكل ما جاء فى النسختين المذكورتين على قسطاس مستقيم، فأصبحتْ وافية من كل وجه بما يتطلبه أهل العلم والتحقيق، و يستغنى بها القارئ عن الأصلين متحدين أو منفردين .

فهـذه العبارة الأخيرة لها فائدة كبيرة فى التحقيق . لأنها تدل أوّلا علىٰ أن هـذا الكتاب كان معروفا فى سـنة ٨٨٣ بأنه من تأليف الجاحظ، ولأنها جاءت مؤكدة لما قاله ياقوت قبل ذلك بثلاثة قرون من حيث إن للجاحظ كتابا فى أخلاق الملوك . فهذا هو السـند التـاريخى الذى تخيلناه فى مبـاحثنا وتحقيقاتنا علىٰ ما يراه القـارئ فى "التصدير" حينما سقنا الدليل وراء الدليل علىٰ أن هذا الكتاب من تأليف الجاحظ بلا جدال ولا إشكال .

ومن سوء الحظ أن الناسخ الحلبىّ لم يضع لنا فى أوّل نسخته اسم "التاج" ولا اسم "أخلاق الملوك" . فسواء كان الكتاب معروفا فى ذلك الوقت بهذا الاسم أو بذاك العنوان فلا ريب بعد هـذه الشهادة التاريخية الثابتة ثبوتا حاسما فى أن هذا الكتاب هو من كتب الجاحظ دون سواه . وكأن الأقدار أرسلت لنا هـذا الدليل الناطق وهـذا البرهان القاطع لتأييد البحث الذى سهرنا عليه الليالى وأوفيناه قسطه من التحقيق الدقيق حتّى وصلنا إلىٰ الغاية التى جاءت النسخة الحلبية مصدّقة لها بمـا فيه تمـام الإقناع ونهاية اليقين .

أ . زكى

رامـــــوز

لكتاب أرسله لى أحد أفاضل العلماء المستشرقين بالروسيا، وهو الأستاذ أغناطيوس كروتشوفسكى . وقد كان قابلنى بالقاهرة وفاوضتُهُ فى شأن " التاج " وغيره من نفائس المصنفات .

رأيتُ من الواجب إثبات هذا الكتاب علىٰ صورته الأصلية وبخط صاحبه ، لكى يعرف قومنا مقدار عناية الإفرنج بآثار أجدادنا وتفانيهم فى البحث عنها . وإنى أشكره علىٰ هذه العنايه ،وأُهنّيه علىٰ بلوغه فى فن الإنشاء العربى هذه الغايه .

(كما تراه فى الصفحتين التاليتين)

جـــدول

بيان بعض المؤلفات التى نقلت عن كتاب "التاج"

المحاسن والمساوى		محاسن الملوك		مروج الذهب	تنبيه الملوك
ح ٢ ص ١٢	ح ١ ص ١٠٦	ح ٨ ص ١٣	ح ٢ ص ٩٩	ح ١ ص ١١	ح ٢ ص ١٦
ح ٥ ص ١٢	ح ٢ ص ١٠٨	ح ٣ ص ١٤	ح ١ ص ١٢٣	ح ٣ ص ٢٣	ح ٤ ص ٥٥
ح ٤ ص ٥٥	ح ٢ ص ١١٠	ح ٢ ص ١٦	ح ٤ ص ١٢٤	ح ٣ ص ٢٩	ح ٣ ص ٥٦
ح ٢ ص ٥٧	ح ١ ص ١١٢	ح ٤ ص ٣٣	ح ٣ ص ١٢٥	ح ٥ ص ٣٣	ح ٢ ص ٥٧
ح ٢ ص ٥٩	ح ١ ص ١٢٢	ح ٣ ص ٣٧	ح ٧ ص ١٢٥	ح ١ ص ٥٣	ح ١ ص ٦٥
ح ٣ ص ٧٨	ح ٦ ص ١٢٦	ح ٢ ص ٤٥	ح ٣ ص ١٢٦	ح ٣ ص ٥٥	ح ٥ ص ٦٦
ح ٣ ص ٧٩	ح ٣ ص ١٢٧	ح ٤ ص ٥٥	ح ٥ ص ١٢٦	ح ٣ ص ٥٦	ح ٢ ص ٩٩
ح ٤ ص ٨١	ح ٤ ص ١٣٤	ح ٣ ص ٥٦	ح ١ ص ١٣٢	ح ٣ ص ٥٧	ح ١ ص ١٢٢
ح ٢ ص ٨٢	ح ٣ ص ١٦٨	ح ٢ ص ٥٧	ح ٢ ص ١٤٠	ح ٢ ص ٥٩	ح ٢ ص ١٨٠
ح ٣ ص ٨٣	ح ٤ ص ١٦٨	ح ٢ ص ٥٩	ح ٢ ص ١٤١	ح ٤ ص ٥٩	ح ٣ ص ١٨٠
ح ١ ص ٨٨	ح ٢ ص ١٦٩	ح ٣ ص ٧٣	ح ٢ ص ١٦٠	ح ٢ ص ٦٠	
ح ٣ ص ٨٨	ح ٦ ص ١٦٩	ح ٤ ص ٧٦	ح ١ ص ١٦٢	ح ١ ص ١١٢	
ح ٢ ص ٩١	ح ٥ ص ١٧٠	ح ٣ ص ٧٨	ح ١ ص ١٦٣	ح ٣ ص ١٣٠	
ح ١ ص ٩٤	ح ٢ ص ١٧١	ح ٣ ص ٧٩	ح ٣ ص ١٧٥	ح ٢ ص ١٣١	
ح ١ ص ٩٩	ح ٤ ص ١٧١	ح ٢ ص ٨٢	ح ٢ ص ١٧٥	ح ٣ ص ١٣٢	
ح ٥ ص ١٠٠	ح ٣ ص ١٧٥	ح ١ ص ٨٨	ح ٤ ص ١٧٦	ح ٥ ص ١٣٥	
ح ٣ ص ١٠١	ح ٤ ص ١٨٠	ح ٢ ص ٩١	ح ٢ ص ١٨٠	ح ٤ ص ١٧٦	
ح ٢ ص ١٠٢	ص ١٩٧	ح ١ ص ٩٥			
ح ١ ص ١٠٤					

المحاسن والأضداد	العقد الفريد	الطبرى	الأغانى	محاضرات الراغب
ح ٢ ص ٦٥	ح ٧ ص ٢٠	ح ٢ ص ٣٧	ح ٢ ص ٨٢	ح ٢ ص ٦٩
ح ٢ ص ٦٧	ح ٤ ص ٨١	ح ٢ ص ١٤٣	ح ٤ ص ١٣٤	
ح ٦ ص ٦٧	ح ٢ ص ٨٢			
ح ١ ص ٨٨	نهج البلاغة	المستطرف	صبح الأعشى	مطالع البدور
ح ٣ ص ٨٨	ص ١٩٠	ح ٥ ص ١٤	ح ١ ص ١٢٢	ح ٢ ص ٥٨
ح ١ ص ٩٧	ص ٢٠٢	ح ٤ ص ١٦٩		
ص ٢٠٠				

بيـان
الرموز المستعملة فى هذه الطبعـة

١ ـ الحروف

سـ يدل على النسخة السلطانية الموجود أصلها فى خزانة طوب قپو بالقسطنطينية .

صـ « النسخة الموجود أصلها فى خزانة آيا صوفيا بالقسطنطينية .

س « سطر .

ص « صفحة .

ح « حاشية .

ج « جزء .

م « مكرر، إذا وضع وراء أحد الأعداد . (وحينئذ يدل على أن الكلمة مكررة فى الصفحة مرتين فأكثر) .

[ ] هـذان القوسان المربعـان حصرتُ فيهما الكلام المكمل للمتن، وأشرت فى الحاشـية إلى موضع النقل . وقد أحصر بينهما إضافات من عندى يستوجبها المقام، وحينئذ لا أُشير إلى شىء فى الحاشية . أما الكلام المحصور بينهما فى الحواشى فيتضمن تنبيهات و بيانات من عندى .

٢ ـــ الأرقام

الأرقام الصغيرة الموجودة على الهوامش الداخلية تدل على عدد السطور ، خمسة خمسة .

الأرقام المكتوبة فى العلبة ( ) على الهوامش الخارجية تدل على عدد الصفحات فى النسخة الأصلية (أى السلطانية التى اعتمدتُها فى الطبع) .

أما أعداد الصفحات المتسلسلة ، فقد وضعتُ ما يختص بالتصدير فى أسفلها ، وأما مايختص بالكتاب نفسه وملحقاته وفهارسه ، فوضعتُها فى أعلى الصفحات مثل المعتاد ، وذلك منعا للالتباس .

٣ ـــ الحركات

ِّ هذه العلامة تدل على الشدة المكسورة ، كما أن ّ تدل على الشدة المفتوحة .

ٍّ « « « بكسرتين ، كما أن ًّ تدل على الشدة بفتحتين .

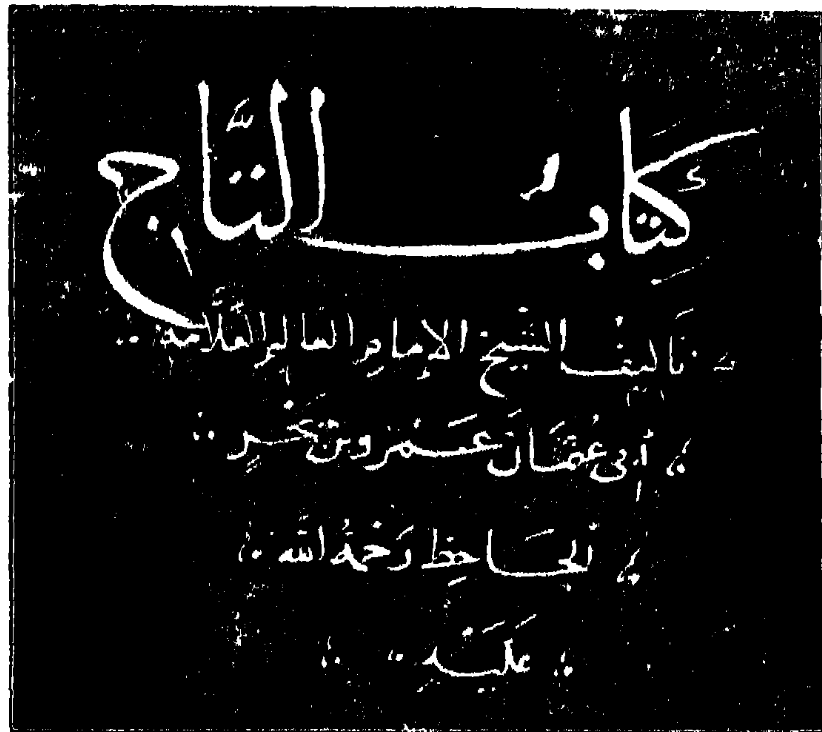
عن ألِف الوصل ـ أضعُ فوقها دائمـا العلامة الخاصة بها (ٱ) . إلا إذا جاءت هذه الألف فى أول الكلام ، فإننى أضع فوقها أو تحتها الحركة التى تستلزمها (فتحة أو ضمة أو كسرة َ ُ ِ) لكى تكون ممتازة عن ألِف القَطْع التى تكون الهمزة دائمـا فوقها أو تحتها . وذلك لتعريف القارئ بأن هذه الحركة تسقط وتزول إذا ٱتصلت ألِف الوصل بحرف أو بكلمة قبلها .

عن الألف المهموزة ـ أضع الهمزة دائمـا فوقها أوتحتها للدلالة على أنها مفتوحة أو مكسورة . فإذا كانت مضمومة أو ساكنة ، فإننى أضع فوق الهمزة علامة الضم أو السكون .

٤ ــ ضبط الكلمات والأعلام

١ ــ إذا كان للكلمة ضبطان (أى صورتان من الحركات)، فإننى أعتمد الضبط الأول الوارد فى كتب اللغة ، وكذلك الحال فى أوزان الأفعال؛ اللهم إلا إذا كان مما يمجّه الذوق المصريّ العصرى .

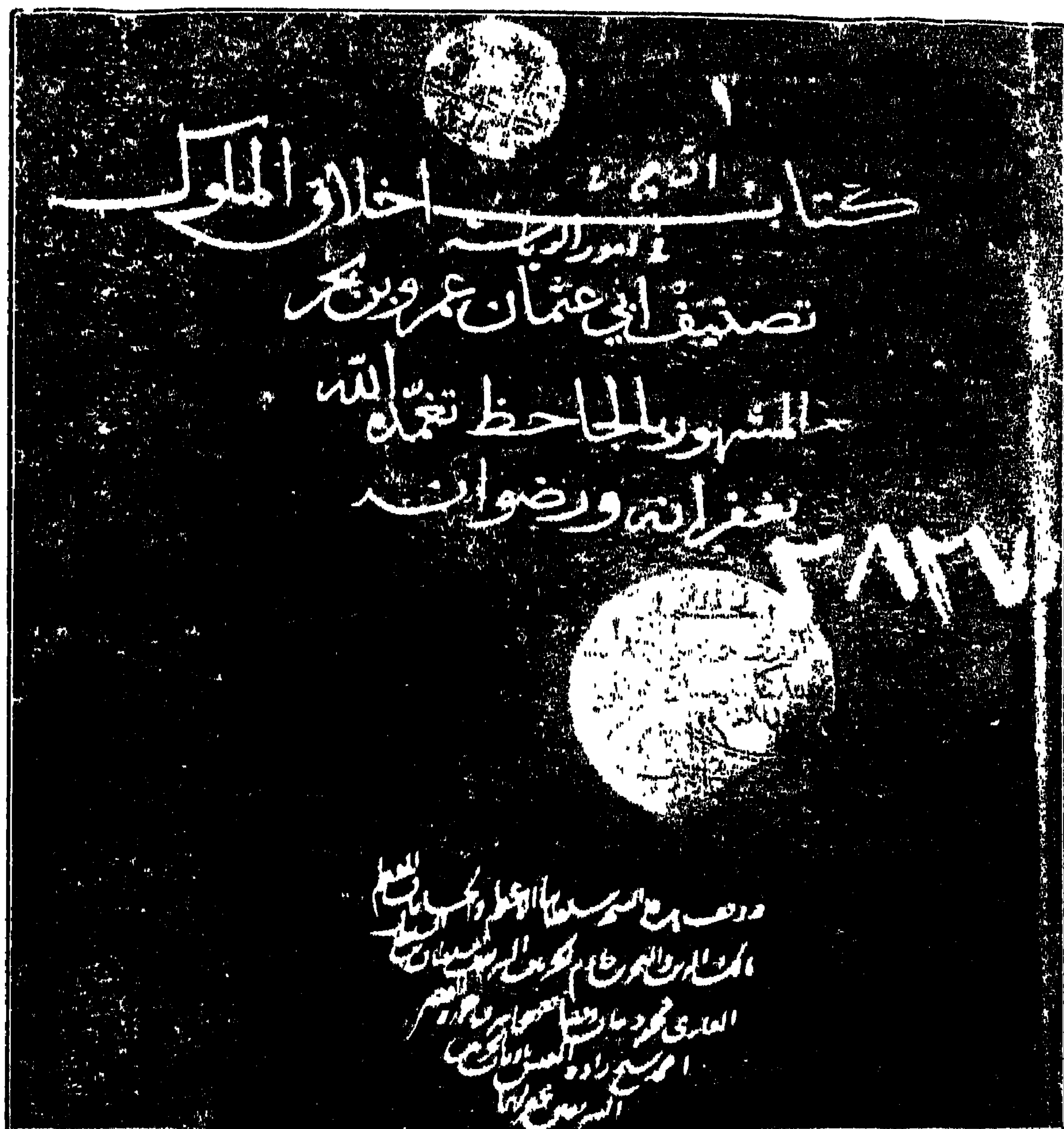
٢ ــ الأعلام التاريخية والجغرافية، ضبطتُها بحسب القول الأول أو الأشهر، معتمدا على المصادر المعتبرة .



(الراموز الأول)

تمثل فيه طرة النسخة السلطانية (المرموز لها فى حواشى هـذه الطبعة بحرف س)

وهذه النسخة محفوظة بخزانة طوب قبو بالقسطنطينية ، رقم ١٣٣ أدب .



(الراموز الثاني)

تمثل فيه طرة النسخة الثانية المحفوظة بخزانة أياصوفيا تحت رقم ٢٨٢٧

وهذه النسخة هي المرموز لها بحرف ص في هذه الطبعة

الحمد لله الذي قتل ابرويز على يديك وملّكك ما كنت أحق به
منه وأراح آل ساسان من جبريته وعتوه وبخله ونكده
فانه لو كان يأخذ بالحمد ويقتل بالظن ويخيف البرى ويعمل
بالهوى. فقال شيرويه للحاجب احمله الى الحبس فقال له
كم كانت أرزاقك في حياة أبرويز قال كنت في كفاية من العيش
قال فكم زيد في رزقك اليوم قال ما زيد في رزقي شيء
قال فهل وترك أبرويز فانتصرت منه بما سمعت من كلامك
قال لا قال فما دعاك الى الوقوع فيه ولم يقطع عنك رزقا
ولا وترك في نفسك وما للعامة والوقوع في الملوك ومس
رعيته فأمر أن ينزع لسانه من قفاه وكان يقال
ان الخرس خير من البيان بما لا يجب. وحدثني
صباح بن خاقان قال حدثني أبي ان أبا جعفر لما أتى برأس
ابرهيم بن عبد الله فوضع بين يديه جاءه رجل من أولئك
الزنادقة فضرب الرأس بعود كان في يده فقال
المنصور للمسيب دق وجهه فدق المسيب أنفه ثم قال له

(الراموز الثالث)

تمثل فيه إحدى صفحات النسخة السلطانية (وهي صفحة ٩٣ من الاصل ،
ويقابلها صفحة ١٠٩ — ١١١ من هذه الطبعة) .

٣٩

الآن وعرفت من نفسه فقلت آخذ سبعين وكلك ثلثوا. قال شانك فانصرفت
بسبعين بدرة وانصرف مكسا لوت عن البكار قال وكان الرشيد
في اخلاق ابي جعفر مشابها كالذي في العطايا فانه كان يتبع افعال
ابي العباس والمهدي ومن اخبرك انه رآه يشرب الا الماء فكذبه وكان
لا يحضر شربه الا خاص جواريه وربما طرب للغناء فتحرك حركة بين
الحركتين في الثقل والخفة وهو من بين خلفاء بني العباس من جعل
للمغنيين مراتب وطبقات على ما وضعهم اردشير وانوشروان وكان
ابرهيم وابن جامع وزلزل في الطبقة الاولى وكان زلزل يضرب فيغني
هذان عليه والطبقة الثانية سليم بن سلام وعمرو الغزال ومن
اشبههما والطبقة الثالثة اصحاب المعازف والونج والطنابير
وعلى قدر ذلك كانت تخرج جوائزهم وصلاتهم وكان اذا وصل
واحدا من الطبقة الاولى بالمال الكثير الخطير جعل لصاحبيه الذين
معه في الصنعة نصيبا منه وجعل للطبقتين اللتين تليانه منه

(الراموز الرابع)

تمثل فيه إحدى صفحات النسخة المحفوظة فى آياصوفيا (وهى صفحة ٢٩ ،
و يقابلها صفحة ٣٧ — ٣٩ من هذه الطبعة) .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم العلامه
ذو التصانيف المفيدة والمقاصد الحميده
ابو عثمن عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم
الخبير احمده على تتابع آلايه وتواتر نعمايه وترادف مننه واستوفقه
لما يرضيه ويرضى فيه واشهد ان لا اله الا الله الذي لا شبيه له ولا نظير
الذي جل عن الاجزا والتبعيض والتحديد والتمثيل والحركة والسكون
والتنقل والزوال والتصرف من حال الى حال لا اله الا هو الكبير
المتعال اما بعد فان الذي حدانا على وضع كتابنا هذا معان منها ان
الله عز وجل لما خص الملوك بكرامته واكرمهم بسلطانه ومكن لهم في البلاد
وخولهم امر العباد اوجب على علمايهم تعظيمهم وتوقيرهم وتعزيرهم
كما اوجب عليهم طاعتهم والخضوع والخشوع لهم فقال في محكم كتابه وهو
الذي جعلكم خلايف في الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات وقال
عز وجل اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم ومنها ان اكثر
العامه وبعض الخاصة لما كانت تجهل الاقسام التي تجب لملوكها عليها
وان كانت متمسكة بجملة الطاعة حصرنا آدابها في كتابنا هذا لان نجعله

عيالك فزدت في العدة فقال كذبت فبهت وقال يا نفس من
اين علم اني كذبت فاقمت سنة لا اجترئ على كلامه ثم رفعت اليه
رقعة اخرى في اجرا الرزق فقال كم عيالك قلت اربعة فقال
صدقت فوقع في حاشيتها تجرى على عياله كذا وكذا ولولا ان يطول
الكتاب في اسحق وذكره وحكينا مناقبه لحكينا عنه اخبارا كثيرة
وهي من هذا الجنس وفيما ذكرناه كفاية والله اعلم بالصواب

(الراموز السادس)

تمثل فيه الصفحة الأخيرة من النسخة الحلبية

(أنظر صفحة ١٧١ من طبعتنا)